حكاية صديقين (*)

(*) نشرت في مجلة الاقلام، العدد الاول- ١٩٨٧- كانون الاول

الشخصيات:

- الام: الامرأة- ارملة، في الخامسة والخمسين
- حسين: التاجر- الرجل الثاني، ابنها.
- الكهل: الاب- ارمل، على اعتاب الستين.
- حسن: التاجر- الرجل الاول- ابنه.

اشـــارات:

- شاركت في مهرجان المسرح العربي - ١٩٨٨
- قدمتها فرقة المسرح الفني الحديث"
- اخرجها الفنان "سامي عبد الحميد"
- نالت جائزة "المؤلف المتميز
- اعيد عرضها في "الموصل"
- عرضت في "البحرين"

[يدخل الكورس، وهو مؤلف من اربعة اشخاص: امـــرأة فـــي الخامســة والخمسين وكهل يكبرها ببضع سنوات، ورجلين الاول في الخامســـة والثلاثيـــن، والثاني يصغره ببضعة اعوام..]

الكوس مخاطبا الجمهور":

الليلة ايها الاحبة، نقص عليكم، ونمثل امامكم، حوادث ووقـــائع، جـــرت لصديقين حميمين..

(تنفصل الأمرأة والرجل الثاني، يقفان معا، في مواجهـــة الكـــهل والرجـــل الاول)

الامرأة والرجل الثاني:

والصديقان، ايها الاخوة والاخوات، تاجران، تذكروا هذه الحقيقة.

الكهل والرجل الاول:

اجل.. لا بد من تحديد الهوية، الصنعة والعمل.. فبهما، وعلى ضوئـــهما يتحدد السلوك. وترتسم الاخلاق. وتتأسس العلاقات. وتـــترابط الوشـــائج والاواصر.

الامرأة والرجل الثاني:

والصداقة بين التجار. جسم غريب. يتحفـــز ســـائر الجســد التجـــاري، مستنفرا كل طاقاته ومناعاته الطبيعية والمكتسبة، لاحتوائه وتطويقـــه..

في سبيل هضمه.. وتمثله، عـبر قطبـي الربـح والخسـارة، الالـهين المتربعين على عرش الوجود التجاري وحيدين، دون منازع او منافس.

الكهل والرجل الاول:

وان عجز عن تحقيق ذلك.. فالعمل علـى قتلـه ولفظـه، باسـرع مـا يستطيع..

الامرأة والرجل الثاني:

فما بالكم بصداقة، مدت جذورها عميقاً في عمر الزمن، ربع قـرن مـن المنافع والارباح والفوائد..

الكورس (مجتمعا):

نعم.. ذلك هو الواقع.. واقع التاجرين، حسن وحسين. ونحن لا نكذب ولا نختلق، فقد لبستهما منذ الطفولة صداقة غريبة. خيوطـها مـن حريـر، موشى بالماس والياقوت، وخطفهما معاً بريق الذهـب الـذي لا يقـاوم اغراؤه. وصهرهما معاً. حب الثروة الذي لا يُدرك قراره

الامرأة (وحدها للجمهور):

من منكم لا يخطف لبّه وهجُ الذهب؟

من منكم لا يعشق الثروة، حد العبادة؟

الكهل (وحده للجمهور):

ليتنازل لي، او لأخيه الجالس لصقه. او لجاره الساكن جنبه. عن بعـض مخزونه من الذهب. او الزائد عن حاجته من الثروة..

الرجل الثاني (ينفصل عن الامرأة):

انا التاجر حسين، ابن هذه الامرأة. لقد ارضعتني من ثدييها مع الحليـب، وربما قبل الحليب.. وانا مجرد جنين في احشائها. حب الـثروة وعشـق

الذهب.

الرجل الاول (ينفصل عن الكهل):

انا التاجر حسن. ابن هذا الكهل. قبلما يعلمني نطق الكلمة. عمدّني بحب الذهب. وقمطني بعشق الثروة.

الكورس مجتمعا):

الثروة ايها السادة ولا نحسبكم تجهلون. كرة.. كرة.. جليدية.. يتدحرجها شيطان الجشع فوق ارض مملوجة، مغطاة بالثلج المندوف.. تكبر وتكبر..تمضغ لحم المسافات وتكبر.. تقضم عظام البشر حولها و.. تكبر.. تبتلع الامكنة.. تمتص الازمنة.. و.. تكبر. وتفترس من تصادف.. تقتلع ما تلقى و.. تكبر.. وتظل تكبر... وتكبر..

الرجل الاول والرجل الثاني:

وتتفلش.. لابد ان تتفلش.. ذلك قانون الاشياء. لا شيء خالد.. لا شيء باق.. كل الاشياء تتبدل كل الاشياء تتغير.. تلك سنة الحياة.

الامرأة والكهل:

ولكنها قبلما تتفلش.. تركل من تركل.. تدوس من تدوس.. (صمت. ثم بايقاع خاص) ثم.. تسحق.. تسحق..

الرجل الاول والرجل الثاني:

ونحن من سحقتنا تلك الكرة الشيطانية.. ركلتنا اولا. فلم نرعو. داستنا ولكنا نهضنا ولم نبالِ. ثم عادت وسحقتنا..

[يتفرق الكورس، يقف كل واحد منهم بمفرده].

حسين (اشارة ادانة الى الامرأة):

وامي هذه.. هي الغولة التي دحرجت الكرة فوق عظامي.. وهرستني.

حسن (اشارة ادانة الى الكهل):

وابي هذا.. هو الشيطان الذي داسني بكرته الجهنمية.. وسحقني.

الام (بنبرة خاصة):

اسفا ولداه!! واسفاه! فقد كذبت يا ولدي حسن.. ما من اب يسحق ابنه.

الاب (بايقاع خاص):

وما من ام تهرس عظام ابنها.. لقد كذبت يا ولدي حسين.. لقد.. كذبت.

الام والاب (معا، بصوت باك):

ولكن الظروف.. والاقدار.. قاتل الله الظروف محق الله الاقدار.. اذ تجعل الواحد منا. دمية تلهو بها حسب مشيئتها واهوائها.. او ريشة ضعيفة في مهب زوابعها واعاصيرها.

الكورس (يجتمع مرة اخرى):

اخ الظروف.. الظروف الظروف.. اخ الاقدار.. الاقدار الاقدار..

(ينسحب الكورس، وتبقى الصدى لفترة، تتردد في ارجاء الصالة)

الظروف.. روف.... ف ف ف ف

الاقدار.. دار.. ررررر

* * *

الام: ولدي .. حسين.. ياغلى على نفسي.. من نفسي.. يا اقرب الى عيني من عيني.. يا اعز على روحي من روحي.. ليلة امس، غزتني رؤيا لا اغرب منها ولا اعجب.

حسين: خير.. ان شاء الله.. خير.

الام: عثرت على نفسي بعد طول تيه وعذاب وضياع.. في مكان اشبه بالمتاهة

وما هي بالمتاهة. اشبه بالبحر وما هو بالبحر. اشبه بالغابة وما هي بالغابة. اغرف سائلا.. بغربال اشبه بالماء..

حسين: (يقاطعها بدعابة) وما هو بالماء!

الام: بل هو الماء.. يا ولدي حسين.. يا قرة الروح والعين.. هو الماء بعينه.. ماء يحمل في غربال.. اليس الامر اشبه بالمحال..؟ يأباه حتى الخيال. مهما جنح ومال.

حسين: بل بل هو المحال.. كيف يحمل الماء في غربال.

الام: واذ افرغه تستحيل قطراته الى حبات رمل.. تتوهج تحت اشعة شمس غير مرئية. تحيل اعماق البحر الا ظلم.. او ليل المتاهة الاعتم.. او فضاء الغابة الادكن، حيث انا. ولا ادري يقينا اين انا، نهارا منقوشاً بشموس لا يعدها العد.. شموس، كأنها كتل من نيران، تتوقد تغلف المكان كله برداء لجيني أخاذ.. يخطف لمعانه الالباب قبل الابصار.

حسين: (بلهفة متصاعدة) ذهب يا اماه.. انه الذهب.

الام: الذهب؟

حسين: لا اله في الاكوان كلها، يخطف البصر، ناهيك عن اللب غير الذهب لا شمس في كل الدنى تزدرد الليل، وتفرش الكون الداجي، نهارا متألقا دائما، غير شمس الذهب (بجنون) انه الذهب يا اماه.. الذهب الذهب!!

الام: (كالمسحورة والتائهة وهي تردد) الذهب؟ الذهب؟ أي ذهب؟

حسين: الجرار يا امي.. جرار الذهب التي دفنها جدك الاكبر في الصحراء.ما اكثر الليالي التي قضيناها.. وانت تطرزينها بآمال العثور عليها وتنيرين مستقبلي باضواء السعادة التي تشع منها..

الام: (ما تزال على حالها) ها؟ الجرار؟ جرار الذهب؟ جدي الاكبر؟

حسين: طيفه. او رسول منه.. هو الذي زارك فـــي المنـــام لكـــي يرشـــدك الـــى موضعه. تذكري يا امي.. توغلي في اعماق ذاكرتك ارتمي فوق المكـــان.. تمسكي به بقوة.. ثم دليني عليه.. ما عليك سوى ان تدليني عليه..

الام: (تحاول التذكر) المـــ.. كان.. المـــ.. كا.. ن... اه.. ما اشق علي ذلك. مـــع انني اكاد اراه.

حسين: امسكيه.. تعلقي به.. ادخليه في كلتا عينيك واغلقيهما عليه.

الام: الرؤية، ولدي.. غير.. غير واضحة.. انها.. انها مموهة.. تبدو من خـــلال طبقات كثيفة من الابخرة والادخنة و..

حسين: حاولي.. يا امي العزيزة.. حاولي..

الام: اني.. اني.. احاول! انا ابذل المستحيل..

حسين: ابذلي المستحيل. ابذلي ما فوق المستحيل. فالمســـتحيل وحـــده لا يكفـــي طريقا.. للوصول الى الذهب. غاية الغايات.. كلها هدف الاهداف.. جميعـــا لابد من بذل ما فوق المستحيل

الام: امرك ولدي الحنون.. امرك.. انه.. انه.. ولداه (تصرخ) ولداه

حسين: ماذا.. ماذا هناك؟ اتحيط به الافـــاعي والثعـــابين؛ اتحرســـه الوحـــوش والضواري قولي يا امي.. تكلمي.. ولا تحفلي..

فابنك في سبيل الذهب.. يصرع شياطين الكون وملائكته معا.. تكلمـــي.. حسب.

الام: انه.. انه.. مكان وعر، شديد الوعورة، منبسط شديد.. الانبساط.. موحـــش.. شديد الوحشة. يقبض النفس يزهق الروح يزهر القلب. ينعش الـــدم فـــي العروق؟

حسين: اللهم رحمتك ما هذا المكان؟ أي شيء يمكن ان يكون؟لغزا؟ اهو لغز؟

الام: مفازة. مفازة لا توطرها العينان ولا يدرك حدودها الحسبان، تفرشها الشمس.. تتوزعها الكثبان.. و..

حسين: والرمال يا امي والرمال.. اليس كذلك.؟

الام: بلى.. بلى يا ولدي.. والرمال.. انها انها حقا الرمال..

حسين: هي الصحراء.. موطن جدك الاكبر، حيث دفن الذهب الاصفر.. ها؟ ها؟

الام: وانت.. انت ايها الحبيب و.. و.. وحسن..

حسين: (يقاطعها. وقد انقبضت اسارير وجهه) وحسن؟ هنا ايضا؟

الام: شقيقك بالروح.. وخلك الصادق الامين.. تلوحان لي من مكان بعيد بعيد.. تهرعان الى بلهفة واشتياق.. وحنين.. وانا مثل يمامة مذعورة، يتربص بافراخها.. غدر مكين.. اطير نحوكما.. افرش لكما جناحي.. افتح لكما قلبي على مصراعيه.. ولكن.. وا.. حسرتاه.

حسين: (باضطراب وقلق) واحسرتاه؟ لماذا؟ لم الحسرة؟ حسن خطف الذهب؟ اليس كذلك؟

الام: (مسحورة بسرد حلمها) واذ ابصرتني.. مفتوحة الذراعين اريد ضمك الى سويداء قلبي زغت مني.. وطفرت من فوق راسي.. طفرة هائلة. نحو كومة الذهب، بيد ان حسن اخاك وشقيق روحك.. اطبق عليك بكلتا يديه بسرعة وقوة خارقتين.

حسين: طبعا.. لكي يستولي على الذهب.. لكي ينعم وحده بالذهب لقد حدست.. والله العظيم.. لقد حدست.

الام: (بغضب) ولدي تطهر.. تطهر من ادران سوء الظن باخيك حسن.

حسين: اذن.. لماذا يمسك بي، وانا قاب قوسين او ادنى من الذهب. ذهب جدي. ذهبي انا..؟

الام: حسن قد راى مالم تره انت. راى.. مثلما رايت انا، السنة لهب تتصاعد، من تلال الرمل الذهبية، وبركانا رهيبا يفتح شدقيه، مثل فكي تمساح خرافـــي، يقذف حمما من نار يناديك الى جوفه..

حسين: (لاهثا بخوف) هه ه ه... هه ز ه..

الام: وانا.. امك الحنون، اندفع نحو جهنم ونيرانمها المندلقة، بلا وعي ولا تـــرو مستسلمة لنداء رباني اصرخ باعلى صوتي.. وصوتـــي لا يغـادر حـدود شفتي.. انا افدي ولدي. انا من تفدي فلذة كبدي.. خذني بدلا عنه يا بركان احرقيني عوضا عنه يا نيران..

حسين: يا الهي!! و. وبعد يا امي.. وبعد..

الام: حسن يا ولدي.. حسن روحي فداه.. حلق عاليا، مثل نسر هـائل الضخامـة والقوة.. وارتمى في احضان النار، يضرب ذات اليمين واليسار، بجنون مـا بعده جنون.. حتى.. حتى استحال كومة رماد.. يا كبدي عليك. يا ولـــدي.. حسن (تبكي) حـــ.. حسن..

حسين: و.. و.. وبعد.. يا امي.. وبعد..

الام: حسن احترق يا حسين، حسن فداك وفداني بحياته اطفـا النـيران بجسـده، فانقذك وانقذني.

حسين: آ..آ.. آ.. .. و.. وانت؟ وأنا؟ والذهب؟ الذهب؟ يا اماه.

الام: لا ادري.. ماذا حل بنا..

حسين: (بحدة) كيف؟ كيف لا تدرين؟

الام: لاني افقت يا ولدي. افقت كما يفيق كل نائم.

حسين:ولكن الذهب يا امي.. الذهب.

الام: (ببرود) اوه.. يا ولدي. انه حلم. مجرد حلم.. كالاف الاحلام.. التـي تـزور

النيام.

حسين: لا يا أمي لا.. انه ليس كسائر الاحلام بل هو ليس حلما انه ليس بـــالحلم ابدا.. ابدا.

الام: ليس- بالحلم- وما هو؟ هـــ.. هـــ.. هل اكذب عليك؟

حسين: حاشاك يا امي.. حاشاك.. انه.. انه.. النبوءة..

الام: أأ.. النبوءة؟

حسين: جرا، الذهب تناديني يا امي. اسمع نداءهما مـــلء اذانـــي مـــلء كيـــاني (يصرخ) لبيك ايها المنادي.. لبيك ايهل النداء.

الأم: ان هي، يا ولدي، الا اضغاث احلام. فلا تجرِ وراء الاوهام

حسين: انت التائهة في الاوهام اذ لاتؤمنين بالاحلام. هلمي بنا الـــى عمـــي ابـــي حسن.. خير الاباء والاعمام.

الام: أ.. أبو حسن.

حسين: مثلما تعرفين. رجل مكشوف عنه الحجاب، لا احد مثله يقرأ الاحـــلام.. لا احد مثله يحفظ الاسرار..

الام: هو كما تقول رجل صادق امين.. ولكن.

حسين: (يجرها) هلمي يا امي هلمي.. لا وقت للتردد. لم يعد ثمة وقـــت للـــتردد. هيا بنا الى الاب.

الام: لتكن مشيئتك يا رب.. لتكن ارادتك يا رب.. ولتحقـــق رغبتـــك يـــا ولـــدي الحبيب.. وعسى الله ان لا يخيب لك رجاء.

• • •

الاب: يا ام حسين، يا جارة العمر، يا رفيقة الدهر، ما كان ينبغي ان تقصي حلمـك

على الاولاد.

حسين: (ينتفض) الاولاد؟

حسن: (باستنكار) الاولاد؟

الاب: ولدي ولدي.. ولدي الرقيقين الهشين.. انما اخشى عليكما ان تركبا جناح الحلم هذا. وتتجشما اعباء واهوال بحث لا طاقة لكما عليها. وتكلفا انفسكما مخاطر ومهالك لا قبل لكما بها.

الام: فلتة لسان يا ابا حسن.. يا جار الدهر، يا رفيق العمر، فلتة لسان (تتوجه نحو الرجلين) يا ولدي.. الحبيبين.. يا ولدي الغرين الطائشين.ارجوكما.. اتوسل اليكما.. انسيا الامر.. ولا..

حسن: (باستنكار) غران؟ طائشان؟

حسين: (باستنكار) رقيقان؟ هشان؟

كلاهما: (معا) اعنا تتحدثان. ايها الابوان المبجلان؟ هل نسيتما اننا رجلان كبيران. يجران وراءهما خبرات وتجارب ربع قرن من معرفة السوق واختبار الناس وتقلبات الزمان.

الام: اخ.. اخ.. انهما مصرّان، يا ابا حسن.. اردعهما.. امنعهما.

الاب: ما كان يا ام حسين. قد كان. ولم يعد تلافيه بالامكان.

الام: اه.. اه (تتوجه الى حسن) حسن.. حسن.. يا فلذة كبدي! يا ايها الخارج من رحم غير رحمي. يا ايها الطالع من نطفة غير نطفة زوجي.. امنحك ماء حياتي (تقدم له حسين) ان عطشت اشرب حتى ترتوي ان داهمك القيظ اغتسل حتى تبرد. اما امك.. فقد نذرت ان تصوم. تقضي النهار لا تبلل اللسان. تطوي الليل لا ترطب الشفتين. حب الام يا ولدي.. مطر. يرش الصحارى فتفيض. يسقي الصخور فتحضر.. ولكنها تظل جرداء. يعريها

العطش.. ويحرقها الظمأ.. حتى يعود اليها وحيدها فتعود اليها حياتها..

حسن: يا امي الحنون. التي لم تنجبني من رحمها المقدسي يـــا امـــي التـــي لـــم تحملني في بطنها الكريم تسعة شهور كما تحمل الامهات الابناء.. يـــــامي التي حملتني في سويداء قلبها ثلاثين عاما.. انا النبع الذي يـــروي ابنـــك، شقيق روحي حسين. اذ يعطش. انا الانامل التي تحك ظـــهر حســـين اذ لا تطاله انامك الرحيمات. انا الساق التي تحمل حسين...اذ ينخر فيه التعـــب ولا يقوى على السير.. حسين يا امي الرحوم.. اخي

الاب: حسين.. أي ولدي! يا ابني الذي ليس من صلبي. يا اغلى واعزّ علي مـــن ولدي الذي من صلبي. هاك مشكاة وجودي (يقدم له حسن) استنر بـــــها.. كلما شحث السماء بنورها. بدد بها ظلمات الليل الحالك اذ تخيـــم عليـــك. اشعله اشعل حسن نفسه شمعة تضيء لك دربك وهي تذوي. فقط لا تنـــس يا ولدي ان اباك الذي اثرك على نفسه. ملقى في العتمة يتســـاوى عنـــده النهار. بشمس الساطعة. والليل بظلماته الحالكة. فحسين يا ولدي حسين.. يا اعز من حسن نفسه. شمس نهاري وقمر ليلي.. ونور عيوني..

حسين: ولدك يابي الرحيم. اخي، وان لم تلده امي. ولم يخرج من صلـــب ابـــي. حسن يا ابي. بؤبؤ عيني، اترك عيني مفتوحتين تحرقهما رمال الصحـــراء المشتعلة، بشواظها واغطي باجفاني على حسن. فلتطمئن نفسا. ولتســـتقر روحا يا ابي. وخذ مني عهدا انك ستقر به عينا عـــن قريـــب بـــاذن الله، سالما، غانما.. معززا.. مكرما..

* * *

[الكورس الاب والام على جانب. بينما حسن وحسين على الجانب الاخر..]

الاب والام:

تكلمتما ايها الرجلان، الراشدان، العاقلان

فاحسنتما الكلام.

فتحتما دهاليز وخفايا نفسيكما المغلقة،

فبانت الكنوز الثرة.

وتساق

طت الدرر الكامنة.

نطقتما ايها الخلان الوفيان.

فاجدتما النطق.

كلماتكما المشبعة بطراوة الحياة وروحها

روت ارضا مجدبة. محلا قحطا.

فرفعت رؤوسها شتلات الامل

تخترق صدا السنوات الماضيات المعتمات

تعانق عيون سنوات العمر المقبلات المضيئات.

لقد عاهدتما ووعدتما..

فاحفظا العهد. وصونا الوعد.

الكورس (مجتمعا):

وعد الحر.. دين.

دين.. دين.. ياتاجران

هل انتما موفيان الدين.

هل انتما حافظان العهد.

هل انتما صائنان الوعد.

حسن وحسين: (ينفصلان عن الكورس):

وعدنا ذمة.

ديننا نقد

ايها الابوان المعظمان..

نعدكما ان نظل كما عهدتمانا.

اخوين صادقين صدوقين.

يفتح احدنا الصدر لانياب الوحوش المفترسة.

يفتح احدنا المقلتين لمخالب الجوارح الضارية.

ويصون اخاه ويحميه

يجنبه لسعة بعوض.

يقيه خدشة شوك.

الاب والام:

سيرا يا ولدينا اللذين لا نعرف ايكما ابنها وايكما ابنه.

سيرا يا ولدينا اللذين لا ندري اينا لكما الاب وابنا الام.

حسن وحسين:

كلاكما لنا الاب وكلاكما لنا الام

كل واحد منكما لنا الاب والام.

كل واحد منكما لنا الام والاب.

الاب والام:

سيرا يا ولدينا اللذين لا نعرف ايكما الاعز والاحب.

سيرا ولترافقكما بركة ابويكما..

غمامة تحجب عنكما نيران الشمس.أذ تشتد أوارها

شلالا يتدفق عليكما ماء قراحا زلالا اذ يجف حلقاكما.
واحة تاويكما الى احضانها
تمسح عنكما التعب والعرق. تدرأ عنكما الجوع والظمأ.
اما رؤوما تذر في عيونها الملح. لتستحيل لبوة جريحا،
تذود عنكما طارنات الدهر.. تحرسكما اذ تنامان..
تفرش لكما أهداب العين.
منامة منسوجة من اوتار القلب.
معطرة بانفاس المحبة.
مضمخه باريج العافية.

حسين وحسين:

وداعا ايها الابوان الحنونان.
وداعا ايتها الامّان الرؤومان.

الاب والأم:

واذ تفارقاننا الى عود قريب باذن الله.
خذا اخر نصائحنا.. منجاة تقيكما كل شر
حصنا يحميكما من كل غدر.

حسن وحسين:

كلنا اذان مصغية
كلنا روح خاشعة.. راضية مرضية.

الاب والام:

حاذرا الدنو من المدن المسكونة
تجنبا الاقتراب من القرى المأهولة.

صادقا الحيوان.. واحذرا الانسان.

الناس ذئاب في جلود بشر.

لصوص في ثياب قديسين.

حسن وحسين:

سمعا وطاعة.. سمعا وطاعة.

الاب والام:

ومن الطعام والشراب.. لا تحملا ما لذ وطاب

وانما ما خف وافاد.. فلا تكونا موضع شك وارتياب.

حسن وحسين

سمعا وطاعة.. سمعا وطاعة.

الاب والام:

وداعا.. وداعا.. يا طفلينا الرضيعين الحبيبين الضعيفين.

وداعا والى ملتقى.. قريب اكيد.

ملتقى الذهب والثروة والغنى.

ملتقى الجاه والمكانة والقوة.

(عناق حار.. وقبل.. الابوان يبكيان)

حسن وحسين

لا تهدرا الدمع السخين..ايها الابوان الرحومان.

فاننا- باذن الله- عائدان

عائدان بالذهب والغنى والثروة

عائدان رافلين بالجاه والمكانة والقوة.

* * *

[في عمق المسرح، تنزل ستارة بيضاء.. تستخدم كشاشة عرض.. مشـــهد سينمي قصير: (منظر عام)_ حسن وحسين يتوغلان في الصحراء. وحيدين. وقـد نال منهما التعب والانهاك كل منال. يسقطان ينهضان، يواصلان السير.. يتوقفان. يتفقان على موضع.. يحفران.. يتركان امتعتهما جانبـــا، وهـــي اشـــياء قليلـــة.. حقيبتان صغيرتان للطعام زمزميتان لحفظ الماء.. زمزميـــة حســـين.. صفـــراء.. بينما زمزمية حسن خضراء.. يواصلان الحفر.. ويستمر المشهد...]

* * *

الكورس (مجتمعا في تزامن مدروس مع حركة الرجلين):

ورحل الرجلان التاجران الصديقان الصافيان.
سارا على بركة الله.. وبركة الوالدين.
متعاهدين على تحمل الحلو والمر.
واقتسام النفع والضر.
سارا.. لا.. لكي يعودا بسر الحياة والخلود..
كما سار.. جداهما كلكامش وانكيدو من قبل..
سارا، لا الكي يتوغلا في عمق الغابة المسحورة..
ويقتلا الوحش الشرير خمبابا.. مثلما.. فعل جداهما
من قبل.
وانما توغلا في الصحراء.. الى عمق الصحراءَ..الى
قلب الصحراء.. الى مجاهل الصحراء
عميقا.. عميقا.. عميقا..
ليطعم كل منهما، معا، او على انفراد.

خمبابه الساكن في جوفه..
المزيد والمزيد من.. ذهب الصحراء.. من رمال الصحراء..
[ينسحب الكورس]

* * *

عودة الى المشهد السينمي:

[لقطة بعيدة: حسن وحسين منهمكان في الحفر والبحـث والتنقيـب. لقـد صنعا تلالا عديدة من الرمال. كما حفرا حفرا كثيرة يبـدوان ازاء التلـول العالية، جرذين صغيرين لا يكفان عن الحفر.]

لقطة قريبة:

[حسن وحسين. غارقان في العرق تشققت شفتاهما. تدلـى لسـاناهما. لا يقويان على الوقوف. يغطي وجهيهما الشعر والـتراب والطيـن يصـرخ احدهما بوجه الاخر، يتبادلان السباب والشـتائم والاتـهامات يتلازمـان، يتشاجران يعودان يصطلحان وسرعان ما ينشب بينهما العـراك مجـددا.. هكذا..]

* * *

الكورس للجمهور:
انظروا.. تأملوا..
انهما هما.. حسن وحسين، التاجران الاليفان الودودان
المطيعان.. الاخوان المثاليان.

يا الله ! لكم تغيرا مظهرا وجوهرا، وفي غضون ايام
قلائل حسب. حتى باتا كانهما ليسا هما.
ولكن هل هما هما حقا؟..
ام انهما ديكان على النفاية يتقاتلان.؟ من اجل
حبة قمح مقيوءة من معدة مريضة. يتذابحان؟
ابوسعكما التعرف عليهما؟
اننا نكاد ننكر انهما هما:
شاهدوا.. تاملوا.. فكروا..

المشهد السينمي:

(يشتد بينهما العراك، يتهالك كل منهما على جـــانب.. مدمـــى.. يلـــهث..
يتوسل.. يستنجد..)

الكورس:

ما فرط اب بابنه.
ولا ام بوليدها قط.
مثلما فرط هذان الابوان بولديهما.
ما راينا
ولا قرأنا
ولا سمعنا.
كمثل هذا التفريط تفريطا
فيا ويح الولدين من ابوين يعبدان الذهب.
يا ويل الوالدين من ولدين يعشقان الذهب
يا ويح.. يا ويل..

الانسان.. الزمان.. المكان!
من الذهب..
الذهب.. الذهب.. الذهب..
(الكورس ينسحب مخلفا وراءه صدى صوته)
شاهدوا.. شاهدوا.. شاهدوا
فما زال ثمة الكثير.. ما يزال ثمة الكثير
الكثير.. الكثير.. الكثير.. وما خفى.. افظع.. وما بقى ابشع.

* * *

[ارض صحراوية، تفترشها الرمال. جرداء الا من نبتـــة صبـير كبـيرة. متشبعة الاطراف، عالية بعض الشيء. يحيط.. بها ظل قصير محـدود. الشـمس ساطعة قوية. على الجانب الايمن من المسرح كثيب رملي.

حسن وحسين يدنوان من بعيد. في البداية لا يتبين منهما سوى الرأسـين من فوق الكثيب. واذ يجتازانه من الامام يظهران بوضوح، يسيران بوهن شـديد. متهالكين على نفسيهما. لا يكادان يقويان على المشـي. تغـوص قدماهمـا فـي الرمال يتنزعانها بمشقة بالغة. يتعثران يسقطان. ينهضان يواصلان السير رغـم ذلك.

حسين يبدو في حالة افضل من صاحبه يتقدمـه بضـع خطـوات. يبصـر الصبير يتوقف.. يتلفت يمنة ويسرى. يخاطب نفسه.. بقلق.. وشيء من الخوف]

* * *

حسين: الصبير؟ الصبير ثانية؟ مثل البغل المشدود الى رحـــا الطاحونـــة..يلـــف ويدور ويعود الى المكان نفسه. كما لو ان الصحراء اللامتناهية قد تقلصـت الى دائرة صغيرة لا تتعدى مساحتها بضع خطوات (بتصميم) ولكن يتوجـب ان لا ادعه يبرك هنا.. مثل الجمل المنهوك. (يضع كفيـــه علـــى عينيـــه. يحجب عنهما.. الشمس. وهو يواصل سيره نحو الامام. كمن يتوجه نحـو هدف غير محدود المعالم، يتلفت نحو حسن الذي يلهث ويئن من اوجاعه]. تحمل يا حسن.. تحمل يا اخي.. لم يعد ثمة الا القليل.

حسن: لا جدوى يا حسين لا جدوى.. (يتساقط على نفسه مرتميا فـــوق الرمـــال على مبعدة من الصبير) لست قادرا على السير خطوة واحدة. لقد انتـــهيت اشعر بأني قد انتهيت تماما..

حسين: بضع دقائق اخرى.. بضع خطوات اخرى.. ونصل.. إنـــي.. انـــي اكـــاد اراه..

حسن: ترى ماذا يا مجنون؟ وهل في الصحراء ما يرى عدا الرمل والشمس؟ منـذ متى ونحن نروح ونجيء؟ هل وقع بصرك على غير اثار اقدامنا المبثوثـــة هنا وهناك مرسومة فوق الرمال كآثار خف بعير اعمى.

حسين: نحن نروح ونجيء ولا نروح ولا نجيء.. نحن نتراوح في بقعة صغـــيرة من الارض لا تتجاوز بضعة امتار.

حسن: ذلك يعني اننا تهنا.. تهنا حقا.. حتى طريق العودة لا نســـتطيع الاهتـــداء اليها.. اخ.. اخ (يعصر ساقيه متوجعا) اخ.. اخ.. كأني اسير عليهما منـــذ نشاة الخليقة.

حسين: انا.. انا.. ارى حدبة (يواصل التطلع ونقل مشاهداته) على مبعدة وســـط مساحة مستوية من الارض، تحيط بها طبقات كثيفة من الابخرة و..

حسن: (يقاطعه) عن أي شيء تتكلم؟ وهم . ما تراه ليس الا و هما مـــن اوهـــام الصحراء الداعرة.

حسين: (مشدودا إلى ما يتراءى له) لا.. لا.. الرؤية اخـــذت تتوضـــح والابخـــرة شرعت تنقشع وتتبدد.

حسن: سراب ما يتراءى لك سراب. (يعصر ساقيه) لقد جنت الصحراء.. جننـــها حقدها اللامعقول علينا. وراحت تتلذذ بتعذيبنا، عبر صنوف الخـــداع التـــي تخلقها امام عيوننا التي هدها الارهاق.. وتسوطنا بها.. بـــــلا رحمـــة ولا شفقة.

حسين: الصحراء؟ الصحراء تفعل بنا كل تلك الافاعيل؟

حسن: طبعا.. انتقاما لجلدها الذي شققناه في كل موضع ثارا لاحشائها الداخليـــة التي فتتناها ومزقناها شر ممزق

حسين: ولماذا لا يكون ما اراه.. حقيقة.. واقعا؟

حسن: (يدس اصابعه في صدره) حقيقة.. واقعا؟

حسين: قد.. قد.. تكون قرية.. او.. خيمة.. وحولها أُناس و..

حسن: ما أشد ما خف عقلك!! اذهب.. اذهب والق بنفسك في احضـــان اوهـــامك التي تتراءى لك على هيئة قرية واناس (يمص رؤوس اناملـه) انا.. انـــا.. لا اصدّق الصحراء (ينتبه ان حسين يراقبه) لا اصدق غير هذه الامـــلاح.. او.. بالاحرى هذه السموم التي تفرزها مسامات جلدي.. ناسجة منها رداء خانقا يعصرني تحت ثيابي التي خشبها العرق المتيبس.

حسين: انت لا تصدقني.. دائما لا تصدقني.. لانك لا تصدق احداً.

حسن: ذلك حق.. فانا لا اصدق.. او.. او لم اعد اصدق.. غير هذا العطش الـــذي ينمو ويتشعب في داخلي ككائن خرافي لا يعرف التوقف عـــن النمـــو.. ولا

الكف عن التشعب (يهم بنزع حذائـــه) لا يمكـــن ان اتـــرك هـــذه الذنبـــة المسعورة تلعب بي بين انيابـــها.. ومخالبـــها. اكـــثر ممـــا فعلـــت.. والا مضغتني.. ولفظتني من مؤخرتها. (يواصل محاولاته لنزع حذائه)

حسين: (لنفسه بخوف) يا الهي.. انه ينوي المكوث هنا (لـــه. صارخـــا بحـــدة) مـــ.. ماذا تفعل؟ (يحاول منعه)

حسن: (ببرود لا يتناسب مع انفعال المقابل) انزع حذائي.

حسين: (يمسك يديه بقوة) لا. لا تفعل.

حسن: (يدفعه عنه) ومنذ متى صرت اتلقى الاوامر منك؟

حسين: (مخذولا) انما..

حسن: ماذا؟ ماذا تريد مني؟ لماذا لا تدعني وحالي..؟

حسين: كيف؟ لا يمكن..

حسن: ما الذي لا يمكن..

حسين: لا يمكن ان ادعك تمكث هنا (يستدرك بسرعة) انه.. انه.. ليس بالمكـــان الآمن لك.. ولا.. ولا.. لي

حسن: بالنسبة لي.. قد باتت كل الامكنة سواء؟ في هذه.. الصحراء الغادرة. ولـــم يعد الامر يهمني.

حسين: الا تفسر لي سبب اصرارك على هذا المكان بالذات؟

حسن: (يرمقه بدهشة) هذا المكان بالذات؟ (يتلفـــت حواليـــه.. ثـــم تـــأخذه روح الدعابة) لأني.. لأني سقطت في حبها.. بدأت اعشق ابنة الكلبة هذه..

حسين: (بهلع) الـــ.. الـــ.. الصبير؟

حسن: المخلوقة الحية الوحيدة.. في هذه الصحراء الميتـــة القاتلـــة. فـــي هـــذه المقبرة الكونية.. الشاملة.. التي لا يحدها حدٌ.

حسين: و..و.. ولكن.. ماذا تأمل هنا.. ماذا تنتظر؟

حسن: حقا.. ماذا أمل؟ ماذا انتظر؟ لم اطرح هذا السؤال على نفسي.

حسين: وأذن؟

حسن: (بحدة) واذن ماذا؟ ماذا؟ انتظر ان يفقدني الجوع والعطـش بقيـة عقلـي فأكلها واشربها.. او.. يشتد بي الشبق.. فاطرحها ارضا واضاجعها.

حسين: انا.. انا..

حسن: هل اقنعك جوابي.؟ هل انت راض.. الان؟

حسين: (يرتبك) لا.. لا.. تغضب.. يا حسن.. لا تغضب.

حسن: انت تخرج الانسان من طوره.. تجعل حتى الحمار يغضب ويحتد.. انت..

حسين: لقد.. لقد.. بدا لي ان مكوثك هنا.. و.. اصرارك علـى البقـاء.. ليـ.. ليس.. لوجه الله.

حسن: بالتأكيد.. ليس لوجه الله. لكنه لوجه راحتي.. لوجه طاقتي التي نفـدت.. فانا بعد كل شيء انسان. انسان من لحم ودم وقدرة محدودةعلى التحمل ولست كثيبا تصفعه العواصف الرملية التي تعمي العيون ولا يبالي. تخترقه سهام الشمس الغاربة التي تصهر الحديد ولا يحفل (يستمر في محاولاتـه لنزع حذائه، باذلاً كل جهده)

حسين: اسمع يا حسن.. يا أخي.. لو نزعت الحذاء.. لاسـتحال عليـك ارتـداؤه ثانية (حسن يرمقه بغضب) سـ.. سـ.. ستتورمان.. قدماك تتورمان.. ولا تدخلان الحذاء.. مهما حاولت.

حسن: هما الان متورمتان بما فيه الكفاية.. حتى جلد الحذاء اخذ يتشقق.

حسين: ستتورمان وتنتفخان اكثر.. صدقني يا حسن.. اكثر مما هما الان.. اكـثر بكثير..

حسن: لتتورما.. ما شاء لهما التورم.. فلست ناويا على حبسهما.. ثانية في هـذا الشيء اللعين..

حسين: مـ.. مـ.. ماذا تقصد؟ أ.. أ.. تنوي قضاء العمر كله هنـا؟ فـي هـذا المنفى الجهنمي؟

حسن: وما بالك تقولها بهذا القدر المرعب من الرعب..؟ العمر كله! كما لو كنـت سأحيا الف عام. لم يعد في العمر من بقية يا هذا ان هي الا ساعات وربمـا لحيظات قصيرات. وما اسرع ما تبتلعها هذه الغولة الشرهة المتوحشة.

حسين: لا.. لاتتكلم على هذا النحو.. ارجوك يا حسن.. ارجوك.

حسن: وكم ترجو ان تعيش بلا طعام ولا ماء.. في هذا العراء؟ نـهارا اخـر؟ ام نصف نهار (يعالج- نزع حذائه)

حسين: اه.. اه.. انت تدمرني.. انت.

حسن: لا اريد ان احقنك باليأس.. ولكن تأكد ان هذه الصحراء الغدارة تقتل حتـى الجمل.. تخنق عطشا حتى الصبير. وما اظنك. ولا احسبك تظنني، جمـلا. ولا صبيراً..

حسين: (يتعذب) كفى.. كفى.. اه.. كفى..

حسن: (مستمرا) كم ليلة دفنا وكم نهارا قتلنا ونحن نجوب صحراء الموت هـذه؟ هل صادفت جملا. ذئبا. ثعلبا؟.. ـ ـنا حياً يتنفس؟

حسين: اه.. يا الهي.. اه..

حسن: (يرمق الصبير) حتى هذه النبتة الشائخة العجوز، لا تصدقـها. لا تدعـها تخدعك.. انها ليست اكثر من كذبة اخرى من اكاذيب الصحـراء. اتظنـها قادرة ان تظل يوما واحدا على قيد الحياة من غير طعام او شراب؟

حسين: انها باقية.. باقية.. الا نراها.. باقية حية.. و..

حسن: كذب. تراها الان قد مدت، في خفية ولصوصية، جذورها اللامرئية، تحت الرمال، حتى بلغت اعماق بحر ما، تسرق منه المياه المشبعة بدهون ولحوم الاسماك والحيتان (بحقد) لصة. هي الاخرى لصة حقيرة. سافلة منحطة (يقذفها بحفنة رمل ترتد نحوهما. يفرك عينيه بالم. كذلك يفعل حسين) اخ.. اخ.. كلبة.. كلبة..

حسين: (وهو منهمك في فرك عينيه) فقط.. لو.. لو تطاوعني.. ونغادر.. هذا المكان اللعين..

حسن: الى اين؟ الى اين يا حسين؟ الى مدينتك الموهومة؟ فردوسك المفقود؟ اذهب انت وحدك.

حسين: وحدي؟ والوعد الذي قطعناه لوالدينا.. ان لا نفترق مهما..

حسن: انت في حلٍّ منه. انا احلّك منه. واذا صادف واكتحلت عيناك بمرأى.. مايؤكل أو يُشرب.. ما عليك الا ان تلوح لي من بعيد.. تالله لأغرزن.. لساني. ركيزة واطيرنّ اليك.

حسين: (لنفسه) لعنك الله.. كل ما تخطط له وتفكر به هو ان تختلي هنا.. ولكن هيهات.. لا بدّ من طريقة لأبعادك. ولكن كيف؟ كيف؟ اعني يا رب..

حسن: (يكاد ييأس من نزع الحذاء) لا. لا جدوى.. البتة. يبدو ان قدمي قد انتفختا بصورة لا معقولة.. لو.. لو.. كانت عندي بضع قطرات ماء.. لربما..

حسين: ماء.؟ من اجل الحذاء؟. وحلق الواحد منا اشد بيساً من رمال الصحراء؟ أي بطر هذا..؟ (حسن يكتفي بتسديد نظرة طويلة اليه. بصمت) ما كان ينبغي ان ترمي زمزميتك في الوادي. بذلك التهور.. كما لو كانت قطعة صخر..

حسن: وبماذا كانت تجديني بعدما فرغت من اخر قطرة.. من الماء. أنشرب منها الهواء.. ام نعبئها بالرمل والشمس. (يتصاعد انفعاله) ثم.. ثم لماذا لا تلوم نفسك بعض اللوم. انت الذي تركت ذينك العجوزين القذرين يسرقان زمزميتك الممتلئة بكل غباء..

حسين: مغفلاً كنت.. أي مغفل كنت اذ وثقت بهما.. اخ.. اخ (يعصر وجهه) كلما تذكرت الماء.. اندفعت الاف الصراصر تتسلق سقف حلقي.. بملايين ارجلها المنشارية.. اخ.. اخ.

حسن: تعال.. تعال.. ساعدني في نزع هذا الحذاء اللعين.. لعلك تنسى الصراصر التي تتنزه في حلقك (حسين لا يجيب) هيا هيا قبلما تمتص عروقك وتحيلك الى قصبة مرضوضة لا تجدي شيئا..

حسين: الا تكف عن الحديث بهذا الشكل اليائس.. الا تقلع عن زرع الكون بجراثيم يأسك الفتاكة التي تتناسل في جوفك. انا انصحك.. ان..

حسن: (يقاطعه) احتفظ بنصائحك الجوفاء لنفسك.. لست مستعدا لسماعها. دعها تنفعك.. تحقنك بجرعة امل ان كانت قادرة او تمنحك بضع قطرات من الماء تبلل سقف حلقك المتخشب وتجعل ارجل الصراصر الملتصقة به تنزلق.. فندخل معدتك الفارغة وجبة طعام دسمة.

حسين: ماذا تبغي يا حسن.. لماذا تظلل تلَقحني ببذور اليأس؟

حسن: لاني لا املك سواها.. هي كل ما عندي من حطام.. الدنيا والاخرة.. فقد ملأتني هذه الصحراء القحبة بكل بذور اليأس في العالم.. احالتني بالوناً منفوخاً.. باليأس.. منطلقا في فضاء بلا حدود من اليأس. يلوح لي المو..

حسين: (يسد فاه)لا. لا تلفظه.. ارجوك.. لا تلفظه.

حسن: وتحسب ان مجرد الامتناع عن لفظه.. قادر على الغائه؟ ما.. انت الا مغفل

كبير.. انه يحوم حولنا يحيط بنا من كل جانب مثل اسراب مــن الجــوارح شمت رائحة جثة متعفنة.. او بالاحرى جثتين.. في سبيلهما الى التفســخ والتعفن..

حسين: (يسد اذنيه) ارجوك. ارجوك.. لا اقوى علــى سـماعه. لا اجــرؤ علــى التفكير به.. كل بدني يقشعر من اسمه. فارحمني.. اشفق علــي. لا تكـن اكثر وحشية وقسوة من هذه الصحراء التي تفترس روحي..

حسن: تعال.. تعال. ساعدني في سلخ هذا الغل المحمى عن قدمي.

حسين: اذن.. قد صممت ان تدفن نفسك هنا.

حسن: ولماذا انهك نفسي اكثر مما فعلت. انتهى هكذا، كما انا تنتفع مني ديــدان الارض.. خير من ان انتهي مجموعة عظام محروقة.. تعا.. تعال.. اسحب الحذاء.. (يقدم له قدمه)

حسين: لا.. لا..يا حسن (يمتنع باصرار) لا يمكن ان اساعدك في امر كهذا

حسن: انت لا تساعد احدا في أي امرا كان، كان ينبغي ان اعرف ذلك، ثم، علــى ان اعتمد على نفسي (يجر الحذاء) اخ.. اه.. (ينزعه) اه.. خيــل الــي ان قدمي قد خلعت من موضعها.. (يعيد الكرة مع القدم الاخــرى) اخ.. (ثــم) الحمد لله.

حسين: (يرنو الى قدميه بفضول صبياني) يا الهي.. ما اكثر ما تورمتا.!!

حسن: والدمامل؟ اترى الى هذه الدمامل.

حسين: ياه !! كانها مزرعة للدمامل..

حسن: مزرعة(بتهكم) هل نؤسس شركة اخوانية لتصديرها (يتلمســها) قويــة... ممتلئة بالمياه (يرفع قدمه الى مستوى فمه) ريانة.. ريانة جــدا.. اظنــها دفقة ماء طيبة.(يحاول عضها)

حسين: (باندفاع يمنعه) لا لا.. هل جننت.؟

حسن: لماذا؟

حسين: ارايت احدا يشرب مياه الدمـــامل..؟ دمـامل القدميـن القـذرة؟ تعـال، تعال(يسحبه الى عمق المسرح. يخاطب نفسه) يجب منعه باي ثمن(لحسن) انت.. انت تقتل نفسك.

حسن: اين؟ الى اين تجرني؟ كما لو كنت قربة ماء قراح؟

حسين: هنا.. هنا.. في الظل.. اخشى ان تخل الشمس بعقلك كليا.

حسن: من منا بقي له شيء يدعى العقل.. او.. او كان له عقل اصلا..؟ لو كـان لاي منا ذرة من العقل. لما.. فعلنا بانفسنا ما فعلنا. (يصرخ بـه) كفـاك.. كفاك تعذيبا لي.

حسين: على العكس.. على العكس.. اريدك ان ترتاح في الظل.

حسن: واين هو الظل؟ هل تصدق ان لابنة الكلبة هذه ظلا يمكن ان يـأوي اليـه مخلوق؟ دعني.. دعني.. انا مرتاح هنا (لنفسه) ابتعد عني هنيهة.. اغـوب عن وجهي ثانية.. لعلي ابلل حلقي (بغضب) لماذا لا تنصرف الى شـؤونك وتتركني في حالي؟

حسين: (لنفسه) لن اتركك ثانية واحدة.. لن ادعك تكتشف موضعها التصـق بـك توأما سياميا.. (يجره الى الجانب الاخر من الصبير، يخاطبه بصوت عـال) شؤوني؟ واي شأن لي او يمكن ان يكون لي في هذا الجحيم الذي سـقطنا فيه.. سوى.. سوى.. العناية بك.. و.. رعايتك..

حسن: اشكرك.. انا مستغن عن عنايتك. اذهب الى مدينتك.

حسين: مدينتي؟ اية مدينة؟

حسن: مدينتك الموهومة.. التي كانت تتراءى لك قبل لحظات.

حسين: ما دامت موهومة.. فلماذا تدفعني اليها..

حسن: انه انت الذي..

حسين: (يسد فاه) اسكت.. اسكت بعض الوقت على الاقل هذا الكلام المفلوت على هذا النحو المدرار.. ينشَف فاك.

حسن: فمي هو الذي ينشف كلامي. ينشَف..

حسين: يا الهي.. انت لا تكف عن لغوك الفارغ.. الا تخبرني ما الذي يختزن في جوفك؟

حسن: اليُبس، الجوع. وكميات من رمال الصحراء الجافة.. أنريد بعضا من مخزونات جوفي.. أنبادلها ببعض ما عندك.

حسين: (بحدة) بعض ما عندي؟ ومن قال لك ان ما عندي افضل مما عندك..

حسن: هدوئك و..

حسين: اسمع يا حسن.. اياك ان تظن باني احسن منك حالا. واذا كنت لاثرثر واهذي مثلك.. فذلك لا يعني انني جمل.. اختزنت في سنامي الماء والطعام.. انا الآخر انسان. مفتت متهرىء.. امتصت الصحراء الدم من عروقي. واللعاب من حلقي واحالتني هيكلا خشبيا.. يا بسا مجوفا.. و..

حسن: كف عني يا حسين.. ارجوك كف عني.. اتركني.. انت الذي لا تكف عني.. ولا تتركني.. وتحملني ان..

حسين: حسن هل تتهمني بشيء؟

حسن: انا؟

حسين: اسمع يا حسن.. يجب ان تكون واضحا معي. اذا كان ثمة شك يراودك من ناحيتي.. فالافضل ان تفصح عنه بصراحة، لا بد ان اعرف كل نواياك تجاهي..

حسن: بماذا تهذي يا رجل؟ أي شك؟ أي اتهام؟ اية نوايا؟

حسين: من المؤكد انك في قرارة نفسك تتهمني بشيء، لا تريد.. الافصاح عنه..

حسن: من المؤكد؟ (بتهكم) بقربة الماء التي اخفيتها في مكان ما في جوف الصحراء..؟

حسين: (برعب) قربة ماء؟ اخفي قربة ماء واترك صراصر العطش تغربل سقف حلقي. لا شك انك مجنون.. لا بد ان تكون قد فقدت عقلك. اذ تفتري على هذا الافتراء الشنيع..

حسن: (يضحك) انا.. انا.. اداعبك يا حسين؟

حسين: ولكنها دعابة لنيمة.. وخبيثة..

حسن: بل.. بل.. دعابة بريئة.. صدقني.. فانا اعرف انك لست احسن مني حالا.. بل لعلك اسوأ.. (حسين يواصل سحبه الى جانب الصبير)

حسين: انا توقفت هناك.. لقضاء.. حاجتي.. حسب.

حسن: صدقت.. صدقت يا حسين.. انما.. انما.. هي الشمس.. هي الصحراء هي.. هي.. لا ادري ما هي تلك اللعنة التي تطلق لساني المتخشب باقوال لا اعنيها.. بكلمات لا اعيها.. لا.. لا.. تغضب مني ياصديقي لا تغضب.. ارجوك.

حسين: لا.. لا.. لست غاضبا.. اية فكرة شيطانية شريرة ان يغضب احدنا من الاخر.. ونحن نختنق في شرنقة هذه المأساة الرهيبة لا نصير لأحدنا.. ولا ملاذ له سوى الاخر.

حسن: ابدا لم يدر بخلدي ان الزمن مهما بلغت دعارته الكلبية يمكن ان يحبل بيوم بغيض.. كريه.. مشوه.. كهذا اليوم الذي تمخض عنه..

حسين: سيكون ثمة الابغض.. والاسوأ.. ليعنا الله.. على تحمله..

حسن: أتتذكر ذينيك العجوزين القذرين..

حسين: وهل ينسيان.

حسن: كلما تذكرتهما فقدت صوابي (بحدة) كيف يمكن لمخلوق ان يقسو على بني جنسه بهذا الشكل الضاري، يسرقاننا بكل خسة.. ويلفظاننا في هذا الفضاء الجهنمي..

حسين: (كمن يكلم نفسه) حين ينازعك اخوك كسرة خبزك وشربة مائك تجد اعتى الوحوش ضراوة.. اكثر رأفة وحنانا منك عليه..

حسن: تقو عليهما.. وهل اخذنا منهما غير ما كان يزيد عن حاجتهما

حسين: لا شيء يزيد عن حاجة احد.. ما يزيد عن حاجتي اليوم. تشتد حاجتي اليه في الغد. الذي سيكون اظلم من يومي هذا.

حسن: كأنك تبارك لهما فعلتهما القذرة معنا..

حسين: كيف؟

حسن: تتحدث بطريقة توحي.. او.. تحمل على الاعتقاد.. بانك.. متعاطف معهما..

حسين: ابدا.. كل ما هنالك اني بدأت افهم اسباب نقمتهما علينا..

حسن: ارايت؟

حسين: بعد كل شيء.. لا بد ان نكون منصفين.. ونقر بأنه ليس هينا على اناس فقراء.. ايواء رجلين عاطلين.. فمّين مفتوحين يأكلان ويشربان.. بلا مقابل.. ودون ان يفعلا شيئا..

حسن: وماذا بوسعنا ان نفعل، هل بوسعنا ان نحتطب تلك الاشجار الصلدة المتحجرة.. ام بوسع ظهرينا الترفين الهشين حمل اكوام الحطب المسنن.. مثل حافة المنشار..

حسين: اذن لُمْ نفسك بعض اللوم..

حسن: نفسي؟ نفسي فقط؟ وانت؟

حسين: انا الاخر الوم نفسي.. واعطيها الحق في طردهم ايانا..

حسن: تعرف جيدا انهما لم يطردانا لهذا السبب.. او على الاقل لم يكن تقاعسنا عن العمل هو السبب الوحيد.. ولا حتى الاقوى.

حسين: ماذا تقصد؟

حسن: تعرف حق المعرفة.. ماذا أقصد..

حسين: لا.. لا اعرف.. واذا كنت تقصد الفتاة فلست وحدي الذي..

حسن: ولكنك وحدك الذي ضبطوك، وبعد منتصف الليل تتسلل الي..

حسين: لا شك انك وشيت بي، بكل خسة ودناءة. وشيت بي..

حسن: (يتحامل على يديه ويزحف نحو الصبير) كان لابد ان افعل. تاكل وتشرب وتنام عندهم.. ثم تخطط بكل وضاعة لاغواء طفلة عرجاء.. وتدنيس شرفهم.

حسين: ليست شهامتك التي دفعتك الى الوشاية بي.. وانما نفسك المريضة.. الامارة بالسوء.. وتوهمك باني قد استأثر بها لوحدي في الوقت الذي كنت افكر فيك بمقدار ما افكر بنفسي.

حسن: عمرك لم تفكر باحد سوى نفسك.. عمرك.. لم تنظر ابعد من ارنبة انفك (يواصل زحفه نحو الوراء).

حسين: (زاعقا) انا؟ (ثم فجأة برغبة طارئة عن الحديث وعزوف عنه) ولكن.. ما الجدوى.. ما جدوى الحديث مع شخص ممتلىء بسوء النية.. وفساد الطوية. (صمت ثم كمن يحاور نفسه) كان ينبغي ان نلتزم بنصائح ابوينا. ولا نفرّط بها. ولكننا دسنا عليها بكل بساطة.. وبمنتهى العقوق (له بحدة)

بل.. بل انت الذي دست عليها ودفعتني دفعا الى اول بيت لاح لنا.

حسن: (يرمقه بغضب شديد، لا يتكلم. يواصل زحفه)

حسين: (مستمرا) ويا ليته كان بيتا.. خيمة حقيرة.. بل زريبـــة نتنــة. اه.. اه.. عفوا ابوينا الحبيبين.. مغفرة والدينا الكريمين.

حسن: (بنفاد صبر. خارجا، عن طوره. يصرخ به بحدة) كفى.. كفى لا تذكرنـــي بهما (يندفع الى الوراء، نحو الصبير، بانفعال شديد)

حسين: (مصعوقا) هاه؟ بهما؟ بمن..؟ بالعجوزين.. ام.. ام بوالدينا أ.. أ.. تقصـــد والدينا.. اياك: اياك.. لااسمح لك بالاساءة الى امي..

حسن: (يصرخ) آخ.. عقرب.

حسين: بدهشة بالغة) عقرب؟

حسن: كأنها عقارب الارض كلها لسعت ظهري.. نفثت كل سمومها في جســمي.. اخ.. اخ.. (يتلوى من الالم)

حسين: (يبحث بخوف) اين هي؟ أين؟ (يركض هنا وهناك) لا.. لاعقـــرب هنـــا.. مستحيل. (ثم) لعلها الاشواك.. اشواك الصبير.. اكشف عن ظهرك.. دعني ار.. اه.. اه.. انها.. كما توقعت اشواك الصبير..

حسن: اشواك الصبير.. وكل هذا الالم البشع..؟ تالله حسبت ان.. ان جهنم سلطت علي كل عقاربها. وراحت تنهشني وتزرع ابرها المسمومة في ظـــهري.. اخ.. اخ.. ايكون ابليس مختبئا في احشاء هذه النبتة الحقيرة.. اخ.. اخ..

حسين: اعتدل.. اعتدل.. لارى ظهرك..

حسن: مـــ.. مـــ.. ماذا تفعل؟

حسين: انزع رداءك..

حسن: (بخوف شديد) ردائي؟ (يشده حول جسمه باحكام) لا. لا.. لماذا تنزع عني

ردائي..؟ لماذا..

حسين: لماذا؟ لاستمتع بمنظر ظهرك الخلاب عاريا (بحدة) انزعـــه التقـط منـــه الاشواك.

حسن: التقطها من فوق الرداء. لن انزعه.. لن انزعه ابداً.

حسين: كيف التقطها من فوق الرداء.. اذا كانت قد نفذت الى جلدك.. ولحمك..

حسن: اذا كنت لا تستطيع فدعني.. دعني.. انها لم تعد توجعني..

حسين: يالله!! ما اغرب امرك (يفتح الرداء من طرف الرقبة) ياه!! لقد اصطبـــغ ظهرك بالدم (يلقي حفنة رمل على ظهره من فتحة الرقبة)

حسن: (صارخا) اه.. ما هذه الجمرات؟ اتحرق لي ظهري؟

حسين: بل اعقم لك جروحك.. واعزل الاشواك عنها.. يا مستنقع النوايا السـيئة.. (حسن يتململ، يبتعد عنه) ها.. كيف صرت؟

حسن: افضل.. اظنني افضل حالا.. بيد اني اشعر كـــأن الاشـــواك انتقلـت الـــى حنجرتي بعدما امتلأ بها جوف حلقي.. اه.. اه.. اكاد اتقيا احشائي.. لــــو.. لو.. قطرة ماء.. قطرة ماء ابلل ريقي.

حسين: (متهكما) هه ه!! ما ارخص ما تريد!! اطلب منجمـــاً للذهــب ولا تطلـب قطيرة ماء.. فانا الاخر اوشك ان اختنق..

حسن: لو.. لو.. تبذل محاولة.. يا حسين.. فقد يوفقنا الله ويكتب لنا النجاة مـــن هذا الموت البطيء.. من هذا الفناء المتواصل.

حسين: كـــ.. كـــ.. كيف.. هل لديك فكرة.. اية فكرة.. قلها. تكلم..

حسن: اسمع يا حسين يا اخي العزيز.. قدماك ما زالتا سليمتين. وهمـــا قادرتـــان على حملك.. و.. التجوال.

حسين: التجوال، في هذا الفرن الملتهب..

حسن: اه.. اه.. انت لا تساعد احدا.. لا تساعد حتى نفسك.

حسين: انا..

حسن: لو.. لو تبحث.. تنظر.. هنا.. هناك.. لعل مجنونا اخر صـــدق.. اكـاذيب جشعه.. وامتطى الاوهام التي يخلقها له ودخل جوف الغول هذا.. مثلنا..

حسين: (يبلع ريقه) أ.. أ.. يمكن؟

حسن: (بحماس) لم لا..؟ فالله اذ خلق المجانين لم يُقصر عددهم على اثنين.

حسين: و.. وتعتقد ان ثمة املاً.. هــ.. هــ.. هل ثمة امل ما.

حسن: تسألني انا؟ انت الذي كنت منفوخا بالامل.. كالمنطاد.. منذ هنيهة حسب.. ماذا جرى لك؟

حسين: استحال المنطاد.. الى غربال، بفضل سهام اليأس التي ماتني تطلقها.

حسن: على اية حال.. ان كان ثمة امل.. فهو لا يبحث عن احد. وعلى هذا الاحد ان يبحث عنه.. يعثر عليه، قبلما يقتله الظمأ. تلاشيه الصحراء. وتــذروه الرياح.. هو الاخر..

حسين: (يفكر) للمرة الاولى اسمعك تقول كلاما ذا فائدة (يتوجه صـوب الجـانب الاخر من الصبير. يتوقف. يتلفت نحوه، يتقدم من مقدمة المسرح) سأبحث يا حسن.. ابحث..

حسن: حسنا تفعل.. بارك الله فيك (لنفسه. مفكرا) ما اسرع ما اســتجاب، تــرى لماذا؟ ماذا في الامر؟ كيف لان هذا البغل العنود بهذه الســرعة؟ (بصــوت عال) حسين.. اخي العزيز.. عدني ارجوك.. عدني..

حسين: اعدك بماذا يا حسن.. ماذا تريد.. سأتحمل الاسياخ المشتعلة وابحث عــن الماء.. بماذا تريدني ان اعدك.. اكثر.

حسن: بان تشرب انت اولاً.. تشرب حتى ترتوي.. ثم تعود الى بمــا يزيــد عــن

حاجتك.

حسين: اه (يتوقف) ليكن سما زعافا يطرحني جثة هامدة. ذلك الماء الذي ابلل بـه شفتي.. ان لم اروك منه.. انت اولا.

حسن: اذن.. لا ترهق نفسك كثيرا.. يا حسين.. يا حبيبي.. عد اول مـــا تشـعر بالتعب.. ودعني انا الاخر اقم بواجبي في البحث او..

حسين: انت؟ انت بقدميك المتورمتين المزروعين بالدمامل. وظـــهرك المثقـوب المغطى بالاشواك والدم المتيبس. لا. لا.. تالله لن ادعك تغادر مكانك هـذا.. او تتحرك شبرا واحدا.. حتى اعود (يسير نحو الامام، صارخا) لا تتحـــرك يا حسن.. يا اخي.. لا تتحرك اطلاقا..

حسن: لتحرسك العناية الالهية.. ليوفقك الله في مسعاك (يرقبه حســـين اذ يبلــغ مقدمة الكثيب. يتوقف. يتلفت نحوه. واذ يطمئن انه في شغل عنه يســتدير نحو جهة اليمين.. ولكن حسن يراه. يصرخ به) نحو اليسار.. يا حســين.. نحو اليسار (حسين لا يسمعه.. يعدو خلف الكثيب.. يختفي عن انظاره) مـا اغرب هذا!! طوال الوقت كان يرنو ويشير الى هذه الجهـــة. حيــن كــان يتحدث عن جنته الموهومة.. وحين سار نحوها اتخذ الجهة المضادة.

حسين: (يسير بمحاذاة الكثيب، نحو الصبير.. يتاكد من ان صاحبه لم يعد.. يـواه، يقعي، لصق الصبير، يحفر في الرمال) اذن فقد صدّق انـــي توقفـت هنــا للتبول.. ها ها.. (يواصل الحفر)

حسن: (اذ يطمئن الى ابتعاد صاحبه، يخرج من بين طيات ردائه.. زمزمية مـــاء) عساه يدّق عنقه. ما شأني به.. المهم اني تحـــررت مـــن اسـر وجـوده بقربي.. اه.. لقد نشف ريقي. (يعالج فتح الزمزمية) طيلة عمـــري لــم ار رفقة بهذا الثقل.. ولا صداقة بهذا الدبق. (يشرب) لك الشكر يا رب.. لـــك

الشكر..

حسين: لم يدر الحمار أني.. انما دفنت اغلى كنز امتلكته طيلة حياتي (يستخرج زمزميته من بين الرمال. يمسح عنها الرمال. يشرب) انها رحمة من السماء قد هبطت عليّ، في الوقت المناسب، في الوقت المناسب تماما.. كنت اختنق من العطش، لا محالة، لو مكثت عنده بضع دقائق اخرى.. (يشرب ثانية) الحمد لله.. لك الحمد.. يا رب..

حسن: الحمار.. انطلت عليه الخدعة ببساطة.. صدق ان كتلة الصخر التي رميتها هي الزمزية.. سعيد من يختار اصدقاءه من الاغبياء (يرمق زمزميته بوله.. يحتضنها.. بشوق).

حسين: من حسن حظ المرء ان يكون صديقه بهذا القدر من السذاجة والبلادة ليصدق بهذه السهولة اني تركت العجوزين يسرقان مني زمزميتي الحبيبة (يقبلها..)

حسن: (يخض الزمزمية) ما زالت ممتلئة. وستبقين كذلك ان شاء الله حتى اخرج من هذا الجحيم حيا.. اروني يا حبيبتي اروني يا نبع حياتي الاخضر.. اروني يا خضرة حياتي الدائمة ازرعيني بالربيع وبشتلات الامل. قبلما يعود صاحبي ويخنقني بالجفاف والقحط (يشرب)

حسين: (يلثم زمزميته بعشق. يخاطبها) انا.. انا.. ادعك تسرقين مني.. اهون علي الف مرة..ان ادع ابليس او عزرائيل يسرق مني روحي.. او ادع حسن غريمي يسرق كل ثروتي.. من ان ادع احداً يسرقك مني فانت روحي.. انت ثروتي انت حياتي الحقيقية.. وبدونك.. انا ميت.. انا عدم.. هيا.. هيا بثي في جسدي المتخشب.. الحياة.. احقني عروقي المتيبسة.. بالحياة.. اه.. ما أحلى الحياة بالرغم من كل شيء (يشرب).

حسن: وجعلنا من الماء كل شيء حي.. صدق الله العظيم (يمص شفتيه) وها قد شاء الله ان يبعثني حيا من جديد.. كل اعضاء جسمي.. كانت تطقطق في بحر من اليبس. مثل قطع صدئة من الحديد.. الان غدت في طراوة الحريو وليونته. وفي قوة خيوطه ومتانتها.. جلّت قدرتك يا رب.

حسين: (يلمس بقايا الماء العالقة على شفتيه بانتشاء) الان عادت الى الروح (يلثم الزمزمية ثانية كمن يلثم شيئا مقدسا) حار العلماء والفلاسفة والفقهاء، منذ نشأة الخليقة وحتى اليوم في البحث عن سر الخلود، دون ان يهتدوا اليه.. وكلكامش البائس، قضى نحبه في خضم الاهوال والعذابات من غير ان يعرفه.. انه هنا يا سادتي (يلوح بالزمزمية) هذه الزمزمية الصفراء، تنغلق على اكسير الحياة وسحر الخلود (يغلق فوهتها) ووحدي من يملك مفتاحها.. ويملك الحق فيهما.

حسن: (يهم ان يرّش الماء على وجهه.. ثم يمتنع) أي حمار انا.. لا ينبغي ان اهدر منه قطرة واحدة.. انه نسغ حياتي الذي به احيا..المعادلة.. معادلة البقاء على قيد الحياة. قد تشكلت هنا. على هذا النحو. الماء يساوي الحياة. والحياة تدوم وتتواصل بالماء. والماء وحده. من يملك الماء تكتب له الحياة.. ومن يفقد الماء يكن من الاموات. (يخضّها) الحياة تشع وتسيل من جوانبهما (يسرع باخفائها بين طيات ملابسه)

حسين: الله. جل جلاله. لحكمة في ذاته العيا. يضع سره في اضعف خلقه. في اناء مفلطح من التنك.. ملفوف بقطعة صفراء من اللباد. حقا.. لله في خلقه شؤون (يخفيها في صدره) هنا.. هنا.. عرشك فوق القلب ايتها الملكة بل في القلب، في اعماقه. اه.. يا ليتني استطيع شق قلبي وايواءك في سويدائه. فما القلب. وحقك.. ايتها الغالية.. بأغلى منك علي.. لا..

والله.. لا..

حسن: لا. لا. لاحسب طيات الملابس، بالمكان الامن لثروة بهذه القيمة لكنز بهذه الندرة.. لو اكتشفها لقتلني. صحيح انه اليف وضعيف.. ولكـــن الصحـــراء هذه الساحرة الشريرة تصنع من الفأر المدجن نمراً مفترســـاً (يقـــع فـــي حيرة)

حسين: (يهم باعادة الزمزمية الى موضعها بين الرمال. يتوقـــف) لا.. يجـــب ان اغير المكان.. لو انتابه أي شك. وهو مستنقع شكوك تجاهي. لفكر اول مـــا فكر بالموقع الذي توقفت فيه للتبول. ولو عثر عليها.. لذبحني من الوريـــد الى الوريد.. او سلخ جلدي وانا حي. انا اعرف أي ذئب مسعور يكمن فـــي هذا اللئيم الذي يدعي الاوجاع والعجز عن الحركة. العطش غول اذ يســـكن الكائن لا يشفق ولا يرحم.. يحيل القديس نفسه وحشا ضاريا. بلا ذمـــة ولا ضمير.. (تشتد حيرته).

حسن: لا بد ان اجد لها مكانا اخر.. اكثر اماناً.. يعجز عن الوصـــــول اليـــه.. او حتى معرفته.. لقد رأيته بنفسي. باية وحشية كان ينقب في ظهري.. حتـــى ليوشك ان يحفره حفراً. ابدا لم يكن معنيا بالتقاط الاشـــــواك.. كمـــا كـــان يزعم.. لقد.. هم ان ينزعني ردائي.. يا الهي.. لو نجح في نزع ردائـــــي.. ماذا كان يحدث لي.؟ ماذا كان يحدث لنبع حياتي الاخضر..

حسين: الافضل ان اخفيها في مكان اخر. بعيد عن الصبير. (يبتعد عن الصبـــير. يتوقف) ولكن اين؟ هنا؟ اجل ليكن وسط الرمال في مساحة لا يميزها شيء عن سواها.. لا تتعرف عليها سوى عيني (يحفر في الرمال)

حسن: ما العمل؟ اين اخفيها؟ اللهم اسعفني.. يا ربي اعني.. الهي لا تتخل عنـــي. انجدني.. ارشدني.. نذر علي اذ انجو ان ابني لك مسجدا.. يذكر فيه اسمك

ليل نهار (يتوقف) في.. في.. الرمال.. اجل.. اجل.. لم لا.. سأواريها الرمال (بحفر)

حسين: من حقي ان احتفظ لنفسي بما يحفظ لي حياتي. بوسعي ان اقاوم الجوع والتعب.. وحتى هذه الشمس الحارقة الشريرة.. اياماً أُخر ولكن العطش لا.. العطش شيء اخر اخر تماما لا سبيل الى تحمله.. ولا قدرة لي على التعايش معه.. (يحفر) ولتكن الحفرة عميقة.. عميقة.. عمق حبي لك. وليكن مأواك آمنا.. اكثر أماناً من مأوى روحي بين ضلوعي.. من مأوى عيني في محجريهما.

حسن: (يدفن الزمزمية، يهيل فوقها الرمال) هكذا.. هكذا (يساوي الرمال) الشيطان نفسه، لن يهتدي اليها. والان ينبغي ان ابتعد عنها.. اقطع عنده كل شك (يزحف الى الامام).

حسين: (يسوي الموضع) الان.. الان فقط.. بوسعي الاطئنان. لو وهب ذكاء ابالسة الارض.. لما عثر عليها.

حسن: من الافضل وضع اشارة.. دلالة.. تدلني عليها والا ضاعت على انا الاخر. وتاهت امام ناظري (بعود يكوم فوقها الرمال على هيئة تل صغير) هذا التل الصغير يصرخ بي اول ما يلمحني، يناديني.. نداء الحياة الذي لا يخيب فتستجيب له كل شعرة في بدني.. قبل عيوني ولساني..

حسين: لا.. لا يمكن تركها بدون علامة.. دالة.. ترشدني اليها والا فقدتها.. وفقدت معها حياتي (يكوم فوقها الرمال) قبعة! البسي يا حبيبتي هذه القبعة.. كي تقيك الشمس وسهامها النارية. هذه اوضح علامة.. لا تخطئها العين ابداً. وعينه هو؟ (يتوقف) اذا صادف وزحف إلى هذا الجانب؟ عينه ذات الخبرة التاريخية الطويلة في لعبات "المحيبس"؟ (يتأمل

ما فعله بقلق).

حسن: و.. هو؟ (يتوقف ثم بسرعة) ليذهب الى الجحيم. ما شأني به؟ لماذا يكون مغفلا الى هذا الحد. ويدع عجوزين اخرقين، يسرقان زمزميته الملاى، عماد حياته الوحيد، هل انا ابوه؟ امه؟ ليذهب الى امه القحبة ويشرب من الجرار التي وعدتني بها. انا متنازل عنها وعن كل ذهبها له.. اما الماء.. فلا.. الف لا. لن اقاسمه قطرة واحدة منه. اخر قطرة هي من نصيبي حلالي،

حسين: كاني صنعت له قدحا من اقداح المحيبس. التي سرعان ما يتعرف اليها.(يتهدم التل الذي بناه) ساقلب القدح (يحفر) احفر حولها حفرة لا ينتبه لها سواي، لا يدرك مغزاها غيري (يحفر) اجل.. اجل.. هذه علامة اكثر ضمانا لي. قدح مقلوب (يتامل) لابد في النهاية ان اعترف انه بذكاء ابليس وخبثه.. لا احسب هذه الاشارة سنخفى عليه.

حسن: (يتامل التل الذي بناه، ينتابه الشك) ترى الا يريبه امر هذا التل.. هكذا وحيدا.. متفردا في هذا العراء؟ تل وحيد في هذه البقعة المنبسطة يستوقف اشد الناس غباءا.. لا بد ان اتدبر الامر قبلما يعود. والعمل؟ المزيد من التلول اجل ذلك هو الحل. لا بد ان ابني مجموعة تلول اخر فارغة لا تحوي سوى الرمال الحارقة. تجننه تفقده عقله ولن يعثر على التل المأمول ولو قضى عمره في البحث عنه.. (ينهمك في تنفيذ فكرته)

حسين: حفرة اخرى بجانبهما، بل.. بل اكثر من حفرة تحيط بها وتحميها.. يضيع امامها، لا يعرف ايهما يختار.. ولا ايها يدع. مثل الحمار الذي اشتد به العطش والجوع. وظل يقلب النظر بين الماء الرقراق والعشب الطري. غير قادر على الاختيار.. غير قادر على عدم الاختيار.. وكانت النتيجة انه

فطس.. فطس في مكانه. مثلما سيغطس السيد حسن (يحفر)

حسن: (يرنو باعجاب الى التلول الصغيرة المثبوتة هنا وهناك) والان يا ابن امـــي التي لم تلدني. يا اخي الذي لم تلده امي استجمع كـــل فراســتك وذكـــائك ومكرك واضف اليها فراسة امك ومكرها.. واعثر من بين كل هذه التلـــول على التل الذي يخفي ينبوع الحياة. ولكن عليك قبل ذلك ان نجــرب حظـك العاثر مع هذا العدد الكبير من جبال النار، حتى تحـــترق كفــاك وتمتلـــيء بالرمال عيناك.

حسين: لياخذه الشيطان. الى جهنم وبئس المصير. لماذا رمى زمزميته بكل ذلـــك التهور والنزق؟ هل لأنها فرغت حقا؟ ام لكي لا يمنحني بضع قطرات ابلـــل بها حلقي المتشقق المتمزق؟ هذا. الاناني الجشع القذر، يبخل علي بضـــع قطرات ماء في الوقت الذي جئت به اشاركه ثروة امي الطائلة. ندا لند. بـل ويدفع بي الى هذه الصحراء القاتلة التي يكمن الموت في كل شبر منـــــها. لكي ابحث له عن الماء وهو يعرف حق المعرفة ان الماء هنا اندر واعــــز من الذهب.

حسن: (يواصل بناء التلول) أبن يا حسن.. ابن المزيد والمزيد مــــن حصــــون الحماية.. اقم الحصون والقلاع والسواتر ما تستطيع حول كنز حيـلتك.. لا تتعب ولا تكف.. او او.. اتعب وانصب.. ما شاء لك التعـــب والنصـــب ولكن لا تكف ولا تتوقف حتى تبني خطوط دفاعاتك وســــــواترها كأحســـن واقوى ما تكون (يواصل عمله بالرغم من تعبه وارهاقه)

حسين: (ما يزال يحفر) لقد كان يامل ان تقضي على الصحراء ووحشيتها التـــي لا توازيها الا وحشيته هو: بالتاكيد كان يخطط لدفني بين الرمال.. ولكـــن خيب الله فاله.. ها قد اتاح لي من غير ان يقصد.أو حتى يدري. فرصـــة

للحياة. ان شخصا ينطوي على هذا القدر من الخبث والكيد بالصديق. غير جدير باية مساعدة ولا رحمة. ولا يستحق الحياة اساسا.. ليفطس حيث هو.. او او. ليشرب مياه دمامله.. المسمومة. حتى.. حتى ينفجر..

حسن: ها.. ها.. ها.. (يتامل تلوله.. متباهيا.. منفوخا) كأني بعد كذا عاما اجد نفسي امام لعبة المحيبس من جديد.. بفارق ان الصحراء هي الصينية.. وهذه التلول هي الاقداح.. وجنين الحياة مزروع في احدها.. ولكن ايها؟ ذلك هو السؤال. أتتذكر لعبة المحيبس. يا اخي الذي لم تلده امي. امام عينيك كنت اخفي الخاتم في احد الاقداح .. وبنصف دورة في الصينية، كنت اقلقل لك دماغك، فتقف مشدوها مبهوتا مبحلق العينين فاغر الفم ، كل ما فيك يصرخ بالعجز كل ما فيك ينطق بالبلادة واذا كان ذلك حالك.. مع اقداح معدنية، تخفي خاتما رخيصا. ترى كيف سيكون حالك مع تلول النار هذه.. المبذورة ببذرة الحياة الدائمة؟ ها.. ها.. ها..

حسين: (ينظر الى الحفر العديدة التي حفرها. يعدها) ثلاث عشرة حفرة ابوسعك ان تحزر الحفرة المعنية. من بين كل هذه الحفر؟ تفضل.. ارني شطارتك.. يا اخي الذي لم ينزل من صلب ابي. اية اخوة مضحكة. تلك التي خدعتني بها حتى اليوم. تقدم يا هذا تقدم هنا الامتحان الحقيقي. لا صينية المحيبس واقداحها المقلوبة التي سرعان ما تمسك بالقدح الذي يختفي تحته الخاتم وتطرح بقية الاقداح خلال ثوان معدودات، فتحلق بك نشوة النصر وزهوه.. بينما اكظم انا غيظي.. واطوي حقدي بين جوانحي وعبثا احاول اطفاء نار الانتقام والثار التي تتاجج في اعماقي..

حسن: ما زلت انا المنتصر.. ذلك المنتصر الذي كان وحده يكتسح فريقا كاملا من اللاعيبن الذين يتساقطون واحدا بعد الاخر او واحدا قبل الاخر.. وانت من

ضمنهم.. بينما اقبع انا في مكاني قويا كأي اســد فــي عرينــه، اســلقكم بنظرات السخرية والاستهزاء وانت تتقدم هشا منخورا.. متزعزع الثقــة.. بل معدومها.. وبصوتك المتردد والمتذبذب تشير الى الاقداح.. هــ.. هــ.. هذا.. (يشير إلى احد التلول) لا.. لا.. العفو.. هــذا.. لا.. بــل هــذا..واذ يستقر رايك الذي لم يعرف الاستقرار يوما. على احد الاقداح وتهجم عليــه منتفج الاوداج.. لا تعود بغير الفشل. محروقا بنيران خيبتك..

حسين: ها قد آن اوان الانتقام.. ها قد حلت ساعة الثار. تعال يا هذا تعال.. تمعن في هذه الاقداح الفاتحة اشداقها. ففي واحد منها.. يا ابن ابــي الــذي لــم يدنس، وهل يجرؤ، جسد امي ستجد لا خاتما تافها من ذهب او المــاس.. وانما ستجد كنزا دونه كنوز الملك سليمان مجتمعة.. تعال ومثــل امــامي أحّد.. ادوارك البهلوانية التهريجية التي تتفوق بها (يمثل ما كــان يفعلــه حسن) تتقدم من الصينية.. بعنادك البغلي وتبخترك الطاووســي المقيــت.. تهجم على القدح وتصرخ.. هذا لا.. يا حسن. لا.. ايها المغرور خســئت وطاش سهمك.

حسن: (يتامل التلول) لي حدس لن يخطيء ابدا مثلما لم يخطيء قط. من النظــرة الاولى اهجم على فريستي كالنمر.. بلا تردد ولا تريث.. هكذا (يضع كفــه على احد التلول) هذا (يجمد) هو؟ بالتاكيد هو لا بد ان يكون هــو نفســه (ينتابه الشك) انه كنزي الغالي.. كل ما تبقى لي من حطام الدنيا والاخــوة.. لا يمكن ان اخطيء فيه. اه.. ان هذه الصحراء الكلبة تشــككني فــي كــل شيء.. تنتزع مني ثقتي بنفسي.. يجب ان ابرهن لها كم هـــي واهمــة.. وداعرة.. ان ثقتي بنفسي لا تتزعزع.. ان حدسي لا يخطيء (يــهدم التــل يحفر) لا.. ليست هنا؟ اين هي؟ ماذا حل بها..؟ لا بــد ان تكــون هنــاك

(يهجم على تل اخر) لا؟..لا ايضا؟ اه.. لا.. لا.. ايها العطش المدمر لا تذر ابرك المسمومة في حلقي (يهجم على تل اخر يحفر).. كف عني ايها العطش كف عني.. ما هذا بالوقت المناسب لتمسك بخناقي باذرعك الاخطبوطية (يكاد يصعق) لا.. هنا ايضا.. لا؟ اين هي اذن. اين اخفيتها.. اه.. لا بد ان اجدها لا بد ان اطمئن عليها قبلما يعود حسين (يهجم على التلول بجنون وقلق عظيمين)

حسين: هيهات.. هيهات يا حسن فانت اليوم في مواجهة لاعب ماهر حذق يغمض عينيه وينفذ الى هدفه.. يسير نحوه قدما بلا تعثر ولا اعوجاج. (يغمض عينيه ويسير باتجاه الحفر) هذه هي (يصرخ) بات (يفتح عينه) هنا.. أي نعم هنا.. بالتأكيد هنا.. وهذه هي الحفرة بالذات (يتوقف، يتسلل اليه خيط من الشك) ما الدليل؟ كل الحفر متشابهة كما لو كانت مجموعة اقداح من انتاج معمل واحد. كيف السبيل إلى تمييز احدها عن الاخر (بخوف) اه.. ايمكن ان يحدث لي، الامر الذي ارتعد من حدوثه. ولا اجرؤ على تسميته. لا بد ان اتاكد.. (يحفر) لا..؟ ليست هنا.. اذن لا بدان تكون في تلك الحفرة اللعينة (يقفز نحوها، يحفرها) ليست هنا؟ اه.. يا الهي لا يمكن ان اعرض نفسي لموت اكيد، كهذا الذي احسه.. بكل مشاعري لا بد ان اعثر عليها مهما كان الثمن.. ولو اضطررت الى حفر رمال الصحراء كلها (يحفر.. ينتقل من حفرة الى اخرى) اه.. يا الهي ارحمني.. ارحمني ولا تحملني على نبش ثلاث عشرة حفرة .. وانت .. انت.. ايتها الصراصر المسعورة.. كفي .. كفي.. لا تمزقي حنجرتي بارجلك المنشارية(يواصل الحفر)..

حسن: (وقد غدا في حالة غريبة من التعب والانهاك. ما يزال يهدم ويحفر) لا

يمكن مستحيل.. ان هذا يعني نهايتي..الاكيدة. ربي.. ربي لابد ان تكــون ارحم من ان تنهي حياتي بهذه الصـــورة البشـعة. كيـف اهتـدي الـى زمزميتي..؟ اين خبرتي الطويلة وتفوقي المجيد في المحيبس.؟ وعينـــي؟ عيني التي كان الكل يقول عنها. انها العين التي لا تخطيء. العيــن التــي تبصر الابرة بين حشايا اكوام القش.. ترى الدرهم في قاع البحر.. اه. ماذا دهاني. ماذا جرى لي.. الهي.. الهي.. انت ارحم من ان تدع هذا العطـــش الناري يقضي علي.. اه.. اه.. ايها العطش الجهنمي المدمر.. كف عنـــي.. اما آن لك ان تكف عني بعض الوقت..

حسين: (مايزال يبحث.. يحفر.. بانفعال اشبه بالجنون) لا.. لا ايها الاله الرحيــم ارأف بحالي.. انقذني من بين مخالب العطش.. انه يخنق انفاسي. يمتـــص بقايا الحياة من عروقي.. يعصرني مثل عصارة خرافية وانا بيـــن انيابـــها ليمونة ضعيفة.. اه. لا.. لا تدع هذا الكلب القابع على الطرف الاخــر مــن الصبير.. يفرح بموتي. نذرا علي يا رب ان انقذتني بمـــا اوقعـت نفسـي فيه.. ان اذبح في سبيلك قطيعا من الاغنام.. افرقها بين الفقراء والايتـــام. اتركيني ايتها الصراصر اللعينة.. ماذا تبغين مني.. لم يعد في ما ينفعــك.. لقد صرت اشد يبسا وجفافا من الصحراء. حفرتان لم تعد امــــامي ســوى حفرتين. لا بد ان تكون في احداهما.. ولكن في ايهما؟ اه.. فـــي ايــهما؟ يتوجب علي ان انبش كليهما او انبشهما معا.

حسن: (يطلق صرخة فرح عارمة) اه.. لك الحمد يارب.. انها هـــي زمزميتـــي.. حياتي التي خرجت من بدني قد عادت.. (يخرجها بسرعة، يشرب خرخشـة من جهة الصبير.) ما هذا؟ عاد؟ بهذه السرعة (يســـد فوهـــة الزمزميـــة. يدفنها حيث هو. يزحف فوقها.. جالسا، يرخي السمع. يمد راسه.. يتطلـع)

لا اثر له.. انها الرياح تصفع الصبير (يخرجها ثانية. يشرب) كفى.. كفى والا فرغت (يدفنها) هذه المرة، ينبغي ان اكون اكثر حذرا. (يفكر) سأضبط المسافة بينهما وبين الصبير (يقيس المسافة) ثلاثة عشر شبرا على يمين الصبير(يعيد القياس) بالضبط.. ثلاثة عشرة. لا غير. والان. الى التلول.. لاحيطه بالتلول.. ساتعرف على تلي من بين الملايين. (يبني التلول ثانية)

حسين: و.. اخيرا (يخطف زمزميته) اه.. ما ارحمك يا رب.. اذ استجبت لدعائي (يشرب) لاشك انه استبطأ عودتي.. واخشى ان يزحف للبحث عني (يدفنها) علي ان اسرع باخفائها.. لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين. سأتخذ الصبير هذه المرة دليلي. (يقيس المسافة بالاقدام) ثمان اقدام يجب ان احفظ هذا الرقم احفره في ذاكرتي ولا انساه ابدا. فهو اهم واعز من رقم خزانة كل ثروتي.. انه مفتاح حياتي.. مفتاح النبع الالهي الذي يمد وجودي بالبقاء والديمومة.. والان الى التمويه الى المخادعة.. الى الحفر الاخرى المضللة (يحفر).

حسن: (يفرغ من بناء التلول) ثمانية تلول. بل ثمان قبب صغيرات جميلات مقدسات او بالاحرى ثمانية اهرام.. واحد منها أفضل من اهرام الدنيا. ماذا تحوي الاهرام غير رفات الموتى ومومياءات وتحفيات هرأها التاريخ.. بينما هرمي هذا .. ينطوي على كنوز الدنيا.. كلها.. على السحر الذي يبعث الموتى احياء..

ثمانية تلول على مبعدة ثلاثة عشر شبرا عن الصبير (يعيد العد.. وقياس المسافة) و.. السحر الاعظم.

حسين: الان.. الان.. فقط.. استقرت نفسي وهدأت روحي (يتامل الحفر) ثلاث عشرة حفرة.. ثمان اقدام عن الصبير لن اخطئك ثانية.. اخطأ في التعرف

على امي ولن اخطأ في التعرف عليك.. فانت في هذه الظروف، احب الـــي واعز علي من امي. بماذا يمكن ان تنفعني امي في محنتـــي هنـــا؟ هـــاه؟ بماذا؟

حسن: ترى ماذا جرى له؟ لماذا تأخر حتى الان؟ ايكون قد عثر على المـــاء وراح ينهل منه.. بلا حساب ولا ترو.. مثل الضفدعة التي رغبت ان تكون بقـوة. فراحت تعب الماء وتعب حتى انفجرت. ولكن أي ماء يمكن ان يكون فـــي هذه الصحراء القاحلة الجرداء.. ما اشد غباني اذ أصدق الاكـــاذيب التـــي اخلقها للايقاع بغيري واقع انا في احبولتها.. (يتوقف) ايـــا كـــان الامـــر يتوجب علي ان ابتعد عن هذا الموضع.. ولا ادعه، هو الاخر يدنو منـــه.. بتاتا (يزحف مبتعدا عن موضعه، ما يستطيع)

حسين: ما هذا؟ كان احدهم يزحف نحوي، احدهم؟ ومن هنا سواه؟ لا بد ان يكون هو.. اما زال بوسعه الزحف؟ الم تحرقه الشمس وتخلفـــه رمـــادا يختلـــط برمال الصحراء؟ الم يقتله العطش حتى الان (يطل براسه من خلف الصبير تصلصا على صاحبه) اين يزحف هذا الكسيح الخبيث؟

ايكون قد فطن الى وجودي يختفي خلف الصبير.. يراقبه واذ يراه يزحـــف نحـــو الامام (يخرج من مكمنه. يسير خلفه ببطء شديد. محاذرا ان يثير انتباهـــه يتصنع التعب والانهاك. وزيادة في المبالغة.. يمسح شفتيه بالرمل).

حسن: (يتطلع هنا وهناك) اين هو؟ لماذا لا اراه؟ لماذا لم يعد؟

حسين: (من خلفه، بصوت واهن متقطع) حـــ.. سن.. حـــســـ.. ن.. حبيبي؟

حسن: حسين.. انت؟

حسين: (بنفس النبرة) ما الذي حملك على ترك مكانك.. اه.. انه العطش لا بـــد ان يكون العطش قد اشتد بك.. انا.. اعرف أي قدر ظالم اعمى هـــذا الوحـــش

الذي يسمونه العطش.. انا خبرته جيدا. اكتويت بنيرانه.

حسن: بل القلق.. يا حسين.. قلقي عليك فاق قسوة الوحش الذي تتحدث عنــــه.. هــ.. هــ.. هل عثرت على شيء.. هل من امل؟

حسين: لا.. لا يا. حسن لا شيء في هذه الصحراء الكلبة الداعــرة.. لا شـــيء.. غير الرمال والحجرات.. والشمس الحارقة.. لقد صدقت.

حسن: اه.. اه.. مــ.. مــ.. ماذا جرى لك..؟ تعثرت؟

حسين: تعثرت وسقطت.. ونهضت.. وما اكثر ما سقطت ونهضت. وهـــا انــا ذا اسقط السقطة التي لا نهوض بعدها (يتهالك امامه. يرنو اليه. كاشفا عـــن الرمال على شفتيه ووجهه)

حسن: ما هذا؟ ماذا فعلت بنفسك ايها الحبيب؟

حسين: شيء لا يقال . وان قيل لا يصدق.. وان صدق.. لا يمكن صـــدوره عـــن انسان.. اه.. اه.. يا لقسوة الزمن. يالقسوة الاشياء.. يا لقسوة كـــل مـــا يحيط بنا..

حسن: اخبرني.. يا حسين.. اخبرني.. ارجوك..

حسين: لا.. لا.. لا تحمل هما.. ساكون بخير.. عسى ان اكون بخير..

حسن: انت تزيد من قلقي عليك.. قل لي.. ماذا هناك؟

حسين: لا تقلق.. ارجوك.. لا تقلق من اجلي..

حسن: كيف؟ وانت قد تكبدت ماتكبدت. وعـــانيت ماعـــانيت فـــي ســـبيلي.. آه.. ارجوك.. تكلم لا تدع احساسي بالذنب يقتلني.

حسين: يشهد الله.. انني كنت اريد ان اخفي عنك حقيقة الامر.. كي لا.. احملـــك. او.. او.. تحمل نفسك مسؤولية ماحدث.. و.. ولكي اجنبـــك أي احســـاس من هذا القبيل.. ولكن يبدو ان لا فائدة من الانكار.. ولا بد من الاقـــرار..

اه.. ما اشق علي ذلك ما اصعب.. علي ذلك!.

حسن: (يتصاعد فضوله ولهفته) ها.. ها؟

حسين: (بسرعة) ولكن لا تحسبني مجنونـــا.. ارجـوك لا تحســبني مجنونـــا.. فالصحراء بكل لا معقوليتها.. لم تفقدني كل عقلي، بعد..

حسن: (بصبر نافذ) ولكن ما الذي جرى.. ما الذي حدث بالضبط؟

حسين: ظلي.. ظلي اللعين.. هو الذي خدعني..

حسن: ظلك؟

حسين: في دوامة بحثي المجنون عن الماء، لم انتبه ان لي ظلا.. نســـيت انـــي مخلوق ذو ظل.. واذ سقط امامي، بدت لي الرمـــال التـــي ظللّــها ارضـــا مبلولة.. رطبة.. فصعقني الامر.. وتلبستني حالة فظيعة. وجدت نفسي بين الجنون والعقل. على حافة اليأس المدمر.. فـــ.. فهجمت علــــى الرمـــال.. اقضمها.. امص رطوبتها المعدومة..

حسن: و.. واكلت.. اكلت الرمال فعلا؟

حسين: وكأني القيت في جوفي حفنة ابر مسمومة.. مصنوعة من نار جهنم.

حسن: (بعقوبة) ينبغي ان تغسل فاك فورا.. فقد تكون الرمال ملوثة..

حسين: بماذا؟ بالمزيد من الرمال الملوثة الحارقة؟

حسن: (متراجعا) أ.. أ.. حقا.. يبدو اني. ازاء مأساتك، قد فقدت عقلي.. ورحـــت اهذي ولا اعي ما اقول.. عفوك ايها العزيز عفوك اذ حملتك ما هو فـــوق طاقتك.. وسببت لك عذابا ما بعده عذاب.

حسين: قدري.. انه قدري الوحش الذي..

حسن: بل انا.. انا الاناني القذر الذي دفع بك الى اتون الصحراء.. ونارها التي لا تخمد.. اه.. اه. لن اغفر لنفسي فعلتي البشعة معك.

حسين: (إيغالاً في تكثيف احساس صاحبه بالذنب) لا. لا. هون عليك، انت اخـي. ومهما فعلت من اجلك وتحملت في سبيلك فاني لن.. افي اخوتـك بعـض حقها.. اه.. اه.. (يتوجع) اه..

حسن: والعمل.. ياالهي.. مالعمل.. انت تتمزق.. امام ناظري من الالم وانـا.. لا افعل شيئا.

حسين: وماذا بوسعك ان تفعل.. ايها العزيز..

حسن: ذلك ما يقتلني.. احساسي القاتل بالعجز.. يفتت كبدي.

حسين: اه.. اه.. (يتوجع)

حسن: ليتني كنت قربة ماء.. افرغ نفسي في حلقك.. اغسله من كل ما علق بـه من لعنات الصحراء. من قذارات الصحراء. وارويك.. ارويك.. اعصر آخـو قطرة من مياهي في فيك.ولا يبقى مني سوى جلد يابس متشقق.. تلبسـني رداء يقيك نيران الشمس. لعلي اكفر عما اقترفت بحقك.. واستعيد بعـض احترامي وتقديري لنفسي.

حسين: لا. لا ايها الحبيب.. لا تحمل ضميرك وزر ما جرى..

حسن: كيف؟ يا الهي.. كيف..

حسين: تعرف اني اكون سعيدا.. راضيا عن نفسي بقدر ما اكون نافعـا لـك. ان مايخفف عني قسوة مايحيط بي. هو وجودك معي. من خلالك فقط يمكننـي ان استعيد ثقتي بالانسان. واجدد ايماني الذي يكاد يتلاشى.. بـان الخـير مازال موجوداً في هذا العالم الفظ.. وان كان هذا الوجود محـدودا جـدا، متحققا في مساحة صغيرة لا تتجاوز قامة انسان واحد.. وهو انت.. انـت ايها الغالي..

حسن: ما انا الاصدى لما يعتمل في داخلك من قيم الخـير والنبـل. مـا انـا الا

انعكاس لما في داخلك من طيبة ووفاء واخلاص. فالاصل.. انت.. انت الاصل.. انت الاصيل..

حسين: لا.. لا.. اننا اخوان.. عملتان نادرتان..

حسن: بل.. بل وجهان لعملة واحدة نادرة.. لا تجد لها مثيلا في هذه الدنيا المتوحشة التي بات ناسها ذئابا.. ينهش بعضها البعض..

حسين: من فضل الله علينا ونعمائه.. ان ابوينا قد ربيانا واحسنا تربيتنا.. ماحييت لن انسى حنان ابيك علي وعلى امي التي ترملت وهي في ربيعها الخامس والعشرين.. لقد احالني ابوك محل ابنه.. بلا تمييز ولا تفريق.. وامي.. امي الطيبة.. الرفيقة كانت على الدوام لك ولابيك الصدر الرؤوم. والقلب الحنون.

حسن: (يداعب دمامل قدميه، يحدق في المجهول، ساهما) تقتحم ذهني بقوة صورة العجوزين..

حسين: العجوزان؟ وما علاقتهما بابوينا..

حسن: المال..

حسين: ها؟

حسن: اقصد الناس.. باتوا عبيدا للمال.. لا يعبدون سوى المال..

حسين: حقا.. وما ابشع مايفعله المال بالانسان.. تصور بالرغم من كل مظاهر التقوى والورع التي كانا يتظاهران بها. لم يتورعا عن سرقتنا والقائنا في العراء. خاليي الوفاض. مجردين حتى من بضع قطرات ماء.. او كسرات خبز.

حسن: ترى ماسر هذا السحر الخرافي الكامن في المال.. لماذا يتهالك عليه الناس بهذا الشكل الحيواني.. دائما وابدا..

حسين: مع ان ثمة حالات وظروفا لا تجدي فيها اموال الدنيا فتيلا. كمثـــل حالتنـــا الان..

حسن: (ساهما).. فعلا..

حسين: قدح ماء واحد بات يساوي الان نقود الارض وثروتها..

حسن: انه.. لـــ.. لكذلك..

حسين: انا الان على استعداد ان اشتري قدح ماء واحد. ثمنه لا يعـــدو فلســـين.. بمئة.. الف.. دينار

حسن: ها..؟

حسين: بل بالف الف دينار.. ولكن هل ثمة من يبيعني.. قدح ماء من؟.. من؟

حسن: (مايزال ساهما) الف.. الف دينار؟

حسين: اجل.. الف الف دينار لقدح ماء واحد.. هل تبيعني..ها؟ ها؟.. اقول.. هـل تبيعني. أُعطِك الف الف دينار. عدا ونقدا.

حسن: (منتفضا) ابيعك؟ ابيعك ماذا؟ ابيعك ماء؟ هل جننت؟ هل انت مجنون؟

حسين: (متراجعا) انا.. انا.. في الحقيقة.. لا اتهمك بشيء.. أي شيء

حسن: اذن ماذا تقصد؟.. ماذا تريد..؟

حسين: كـــ.. كـــ. كنت.. فقط.. كنت اريـــد ان اخفـــف عنـــك شـــدة احساســـك بالخسارة.. بسبب نقودك التي سرقت منك. وقد رايت وجـــهك قـــد اغتـــم كثيرا.. ورحت.. تسرح.. انا.. انا.. ربما اسات التعبير..

حسن: وانت؟ اما تشعر بالاسى على مافقدت؟

حسين: انا.. انا.. ولاكن صريحا معك.. اجل.. اجل.. يجـــب ان لا اخفـــي عنـــك شيئا..

حسن: ماذا تعني؟

حسين: انا.. مازلت احتفظ ببعض النقود.. لقد اخفيت بعضا. من نقودي.. انظـو.. انظر (يخرج رزمة نقود ورقية كبيرة) وانا.. انا ادفعها.. قريـــر العيــن.. راضي النفس.. ثمنا لقدح ماء.. لك.. انت.. وليس لي..

حسن: اه.. ما اشد وفاءك.. مع ان حاجتك الى الماء بمثل حاجتي اليـــه.. ان لـــم تكن اشد.. انني.. انا الاخر.. لست حمارا الى الحد الذي اتـــرك عجوزيـــن اخرقين.. يسرقانني كل نقودي.. فما زلت محتفظا.. باضعاف ما ســـرقا.. (يخرج كمية كبيرة من النقود) ولكن ما قيمتها؟ ماذا تنفع؟ خذ.. ياحســـين خذ منها ماتشاء.. واعطني جرعة ماء (ينـــتزع منـــها اوراقـــا. يرميـــها فتحملها الرياح هنا.. وهناك)

حسين: لا.. لا(يحاول التقاطها) لا تهدر اموالك هل انت مجنون؟

حسن: وبماذا تنفعني اموالي..؟ هل تؤكل؟ هل تشرب؟ خذهـــا.. خذهـــا.. كلـــها(يرمي عليه الاوراق كلها.. فتقرفها الرياح) هاكها.. خفف عنـــي الحمـــل.. هاكها.. هاكها..كلها.

حسين: (يلاحق الاوراق. يلتقط منها مايستطيع. بعضها يتكوم على الصبير يلقـــي بنفسه فوقها، بانفعال شديد وبلا تردد.. وغير حافل برزمة اوراقه النقديـــة التي سقطت منه) لماذا.. لماذا؟ انها ليست.. نهاية العالم..

حسن: بل هي النهاية.. بالنسبة لي هي النهاية..

حسين: لا يمكن.. لا يمكن ان تكون النهاية(يلم الاوراق بحماس)

حسن: (مندهشا من سلوكه) ماهذا؟ لماذا يجشم نفسه كل هذا العناء مـــن اجـــل اوراق، يفترض انها لم تعد تجدي(يخطف رزمة اوراق حسين الســـاقطة) لابد ان له خطة للنجاة.. والا لما تهالك على الاوراق هذا التهالك(يخفـــي الاوراق بين طيات ملابسه) اوراقك ياحسين.. اوراقك.. لـــم تبـــق منـــها

الرياح ورقة واحدة..

حسين: (يتغافل عن حسن، يخاطب نفسه) اوراقي؟ لتذهب الى الجحيم اوراقي المزيفة تلك(يواصل التقاط اوراق حسن) هذه هي الاوراق النقدية الحقيقية.. النقود الصحيحة التي سابدأ بها حياتي من جديد.. ان شاء الله..

حسن: (لنفسه) ترى لو عرف ان نقودي التي يقتل نفسه في سبيلها انما هي نقود مزيفة. حملتها معي لخداع اللصوص وقطاع الطرق.. أكان قد تحمس لها هذا الحماس. وسال لها لعابه على هذا النحو؟ المهم ان النقود الحقيقة صارت لي.. لي وحدي(يتشاغل.. بفرك دمامل قدميه)

حسين: (يخفي الاوراق التي جمعها) النقود قوتي.. بدونها.. اشعر بنفسي جسما طائفا، في سماء الاهمال والاحتقار، بلا وزن ولا ثقل.. من حسن الحظ انه لم يرني. ما زال مشغولا بحفر دمامله القذرة.. كما لو كان يحفر بئر ماء عذب(يرجع الى حسن) ولا ورقة اية.. ريح شرسة لم تترك ورقة واحدة.. وفوقها فقدت كل اوراقي

حسن: الى جهنم. تلك الاوراق المصبوغة التي لا تساوي ثمن اصباغها ولا سعر القطن.. او التبن المصنوعة منه..

حسين: (يتعمد تغيير مجرى الحديث عن الاوراق) اما تكف عن دمامك اللعينة..

حسن: تستبد بي رغبة في قضمها وملء حلقي اليابس بمائها القراح.

حسين: مائها القراح؟ اتحسبه ماء زمزم.؟ ما اشد بؤسك ياصاحبي! انها لا تعدو مجموعة جراثيم فتاكة.. تنجز لك ماعجزت الصحراء عن انجازه حتى الان..

حسن: لا بد ان ابلل ريقي ياحسين.. اني اختنق.. اختنق حقيقة.

حسين: مامن سبيل ياعزيزي.. مامن سبيل. تحمل مثلما اتحمل

حسن: الى متى؟.. الى متى..

حسين: الى.. الى ان يقضي الله.. امرا كان مقضيا..

حسن: وهذه النبتة المنتصبة هنا اما تحوي بضع قطرات ماء؟

حسين: الصبير؟ نبتة الصبير؟ دعك منها انها جنية في جلد قنفذ. من يجروء على الاقتراب منها.. ناهيك عن لمسها. انظر انظر.. مزقت يدي(تشتد الرياح)

حسن: اه.. ماكانت تنقصنا الا هذه الرياح.. كانها اتفقت مع الصحراء على دفننا هنا.. احياء.

حسين: سد فاك.. سده باحكام والا امتليء بالرمال.

حسن: تبدو.. كانها بدايات عاصفة رملية.. من تلك العواصف التي تقلب كل رمال الصحراء فوق جسدينا

حسين: يا للهول.. اين نولي

حسن: جرني.. جرني.. نحو الصبير.. لنحتمي بالصبير.

حسين: لقد امتلأت عيناي بالرمال.. لا استطيع فتحهما.

حسن: لا تفتحهما.. لا تفتحهما.. ماحاجتك اليهما، على اية حال؟

حسين: (يجره) فعلا يبدو ان لا شيء هنا.. يجدي فتيلا..

حسن: (من بين اصابعه ينظر، يرتعب اذ يرى انه بجرّه صوب زمزميته)لا.. لا الى الجهة الاخرى.. خذني الى الجهة الاخرى(يشيرالى الطرف الاخر من الصبير)

حسين: (لنفسه برعب) حيث دفنت زمزميتي.؟ مستحيل. ولو فطست (له ، بصوت طبيعي) وما الفرق؟ كل الجهات سواء.(يواصل جره، عكس الاتجاه الذي يريده حسن)

حسن: لا. لا. الرياح تهب من اليسار.. ولا شك ان العاصفة ستهجم من اليسار ايضا.

حسين: لا يسار ولا يمين.. العاصفة سوف تستبيح.. كل الاتجاهات. كل الصحراء ستغدو كرة تركلها العاصفة من كل الجهات..

حسن: لا.. لا.. وجهة الرياح واضحة..

حسين: (يتوقف. يتأكد من صحة كلام صاحبه) اسمع يا حسن. ليس هذا بالمكان الامن.. العاصفة اذ تشتد تسقط الصبير فوقنا.. ويقضي علينا.

حسن: الصبير اقوى من الجبل.. سيصد العاصفة ويحمينا من.. اهوالها ومخاطرها..

حسين: (لنفسه) الزمزمية.. زمزميتي.. كل همه زمزميتي.. ولكن هيهات والف هيهات.. (يفكر)

حسن: هيا.. هيا.. اسرع.. خذني.. حركني.. ما بالك صمت كالصنم.؟

حسين: (يتلوى فجأة، يمسك منتصفه يصرخ) اخ.. اخ..

حسن: مابك.. ماذا جرى لك..؟

حسين: بطني.. بطني.. الاف السكاكين شرعت تمزق احشائي.. آخ.. آخ..

حسن: اه.. ياالهي.. ماذا افعل الان، تحمل.. ياخي تحمل..

حسين: الامي لا تحتمل.. اوجاعي لا تطاق(يتقلب فوق الرمال متظاهرا بالآم شديدة) حسن.. ابق معي.. لا تتركني وحدي ياحسن.. لا اقوى على مواجهة الالام والعواصف وحيدا

حسن: انا اتركك؟ ما الذي تقول؟ كيف اتركك.. تعال. تعال اقترب مني.. افرك لك.. معدتك.. لعل الله يرأف بحالك.. ويضع على يدي شفاءك.

حسين: (يستسلم له) اه.. اه. ما كان ينبغي لنا ان نعرض انفسنا لهذه التهلكة..

حسن: من يعرف الغيب.. من يعرف ما تخبئه الاقدار

حسين: لقد كنا في احسن حال.. ثروة.. جاه.. مكانة.. يحسدنا عليها الملوك..

حسن: خفف عنك.. ياالخي.. خفف عنك.

حسين: تأمل.. انظر.. ماذا فعل بنا جشعنا.. لقد احالنا الى جرويــــن منبوذيــــن.. محتضرين.. لا يجدان جحرا ياويـــان اليـــه يقيـــهما غضـــب الصحـــراء.. وعواصفها الهوج.. اه.. قاتل الله الجشع.. قاتل الله الجشع.

حسن: ومن بوسعه الزعم انه محصن ضد الجشع او قادر على مقاومته.

حسين: ولكن علينا ان نعترف. باننا نحن التجار، اشد الناس ضعفا امام الجشـــع.. وانبهارا بلمعان الذهب.. ولهاثا.. وراء اوهام الثروة..

حسن: ما نحن الا ضحيتان بائستان من ضحايا الغش والخداع..

حسين: الغش والخداع؟ ممن؟ من قبل من؟

حسن: (كمن يخاطب نفسه) ممن لا يخطر لنا على بال. ممن لا يحوم حوله شك

حسين: اعرف ان الثروة التي وفقنا الله الى جمعها بسرعة مثاليـــة. قـــد جعلتنـــا موضع حسد الكثيرين.. ولكن ان يكيدوا بنا هذه المكيدة الســـافلة.. فـــامر بعيدا عن ادراكي.. وحتى عن توقعي.. من؟ من يمكن ان يفعل بنا.. هـــذه الفعلة القظيعة..

حسن: لو قلت لك لما صدقت!

حسين: قل ارجوك قل.. فبقدر ماتحملك الصحراء ان لا تصدق بشـــيء.. يحملـــك يأسك ان تصدق بكل شيء.. فقل لي من؟ من؟

حسن: امك.

حسين: (مصعوقا، يصرخ برعب) امي؟

حسن: وابي.. ايضا.

حسين: يا الهي.. يا الهي.. ايمكن؟

حسن: تلك هي الحقيقة.. بكل مرارتها. وصدقها.

حسين: لا يمكن.. مستحيل.. كيف؟ كيف.. ادركتها؟. كيف عرفت؟ من أخبرك بها.. كيف توصلت اليها.. اه.. اه.. (يعصر رأسه)

حسن: كانت تتراءى لي مموهة.. عبر فضاءات مضببة من الشك. حينما كنا نحفر ونمزق أحشاء الصحراء، دون طائل، ثم أخذت طبقات الضباب تتكشف.. والشك يتلاشى.. يوما بعد يوم. بل ساعة بعد ساعة.. ويحل مكانه يقين.. يقين إلى حد الجزم.

حسين: هذا أمر لا يصدق.. هذا أمر غير قابل للتصديق.

حسن: بل.. صدق.. صدق..

حسين: انها.. انها جريمة تتصدع لهولها الاكوان.

حسن: ربما. ولكن لم تهتز لاي منهما شعرة.

حسين: و.. ولكن كيف.. اقصد.. اقصد.. لماذا.. لماذا..؟

حسن: اذا اشفقت عليك السماء.. واعادتك سالما من هذا الجحيم اسألهما..

حسين: اسألهما؟ قسماً بجلال الله وعزته. اكون اشد ابناء الكون براً بوالديه.. اذ اكتفي بتمزيقهما.. وشرب دمائهما.. اذا ثبت لي انهما.. فعلا قد..

حسن: تذكر.. تذكر حلمهما.. ذلك الشر المصنوع على هيئة حلم. ذلك الخبث المجدول على شكل رؤيا.. مما يعجز الشيطان نفسه.. بكل خبثه وشره.. على انجاب شقيق له.

حسين: حقا.. حقا.. الجرار.. الصحراء.. الذهب..

حسن:والبقعة التي حدداها لنا..

حسين: ابعد موضع في الصحراء.. اعمق نقطة في الصحراء.

حسن: والتي بلغناها.. وشققنا بطنها في كل شبر. وانتزعنا احشاءها الداخلية من كل سنتمتر.. لقد حلجناها.. حلجا.. هل رايت ذهبا.. هل شممت للذهب رائحة..

حسين: ابدا.. ابدا..

حسن: ونصائحهما.. بان لا نحمل من الطعام والشراب الا النزر اليسير.. الا الاقل من القليل..

حسين: (يضرب راسه) كي ينفد خلال ايام.. وتفترسنا الصحراء.. يا الهي.. يا الهي.. !!

حسن: هل تاكدت الان..؟

حسين: ولكن لماذا؟ صدقني ان ما بات يدمي فؤادي اكثر من فعلهما.. هو هذا السؤال المريع.. لماذا؟ لماذا فعلا بنا ما فعلا..؟ لقد كنا دائما طوع امرهما.. حققنا لهما كل رغباتهما حتى اشدها تطرفا.. وشذوذا..

حسن: (بعمق) عدا.. واحدة..(صمت ثقيل) الزواج..

حسين: الزواج؟

حسن: زواجهما الذي انهكما الجري وراءه.. مثل كلبين في يوم قائظ.. لقد وقفنا كلانا.. ضده وباصرار..

حسين: (بسرعة) من اجلهما.. اكراما لهما.. كي لا يصبحا اهزوءة امام المجتمع، يشمت بنا الاعداء. يا الهي.. نزوة.. نزوة مريضة حقيرة.. انتابتهما قبل عشرين عاما. ظلت تغذيهما بالحقد؟ بهذا القدر الوحشي من الحقد والغدر..

حسن: بل قبل عشرين عاما.. قبلها بكثير.

حسين: قبلها؟ قبلها بكثير.. يعني.. يعني حين كان ابي.. وامك ما يزالان على

قيد الحياة ؟

حسن: ولهذا السبب فكا عنهما قيد الحياة.

حسين: تقصد.. تقصد.. لا.. لا.. مستحيل.. لا.. لا..

حسن: لم لا؟ ان من يقدم على قتل ابنه بهذه الطريقة البشعة لا بد ان يكــون قــد مارس القتل، قبل ذلك، مرات ومرات.. وقتل الزوج او الزوجة.. اهون من قتل الابناء.

حسين: يا الهة اللعنة. يا ابالسة الخسة والدناءة.. عا.. عا.. عا.. عا.. (يسد فـاه بكلتا يديه، يقاوم حاجته الى التقيؤ) عا عا عا عا..(يخفق يقذف من جوفــه ماء اصفر) عا عا عا ع.. عا عا عا ع

حسن: حسين.. ماذا بك.. ماذا جرى لك.؟

حسين: (بعناء شديد) مرارة.. مرارة شديدة كريهة.. ابغض من الخيانة، تفجــرت في.. عا عا عا.. (يندفع بغريزته حيث.. اخفى زمزميته) ا.. عـــا..عـــا.. (تصده الرياح) مـــ.. ا.. ء.. مـــ.. ا.. ء..

حسن: ماء..؟ اتهرع نحو الماء؟ هل عندك ماء؟

حسين: (ينتبه لنفسه. يتوقف فجأة) ماء؟ أي ماء؟ من ذكر الماء؟

حسن: انت؟

حسين: انا؟

حسن: في غفلة منك.. وهرعت نحوه..

حسين: مستحيل..

حسن: لا جدوى من الانكار.. يا حسين.. لقد سمعتك مثلما.. سمعتك الصحـــراء.. والرياح والرمال..

حسين: اذن فقد كنت اهذي.. لا شك ان المرارة التي اجتاحتني افقدتني عقلـــي..

واطلقت لساني.. بما لا اعي..

حسن: لا.. ياحسين لا.. (غير مقتنع، يتوسل) حسين انت اخي وانـــا.. اخــوك.. ليس لاحدنا.. في هذه الدنيا الظالمة. في هذا الزمن الداعر الذي تكيد فيـــه الامهات والاباء.. بالابناء. غير الاخر.. فلا تبخل علي ببضـــع قطــرات.. بضع قطرات حسب

حسين: (تشتد به الحيرة، باحساس متزايد بالحصار) انا.. انا..

حسن: (يزداد توسله والحاحه) ارجوك، ياحسين.. اتوسل اليك. اقبل قدميك.. انـــا اوشك ان اختنق.. فلا تبخل علي ببضع قطرات..

حسين: (بعد تفكير) بضع قطرات؟ بضع قطرات فقط..

حسن: تكفي.. ابلل ريقي..

حسين: لا. لا. ياحسين. انت اخي.. اخي الحقيقي.. وستشرب مثلما..اشرب.

حسن: (غير مصدق.. بلهفة) ..صحيـــح..؟ صحيـــح.. اه.. ياحســين.. اه.. مـــا اوفاك.. ما اشد اخلاصك..

حسين: حرام علي.. ان شربت وحدي.. تعال.. تعال (يجره نحو الصبير)

حسن: واخيرا.. ساشرب ماء.. سابلل ريقي.. اه.. اه..

حسين: واي ماء.!! نفس الماء الذي سارتوي منه..

حسن: حقا؟ حقا..؟

حسين: لينزل في جوفي نارا ملتهبة.. رمالا مشتعلة.. ابرا مسمومة ان لم اســقك الماء الذي قررت ان اشرب..

حسن: اه.. اه.. وفقك الله.. باركك الله..(حسين يتركه قرب الصبير بينما يـــروح يعالج كسر قطعة من الصبير) مـــ.. مـــ.. ماذا تفعل؟

حسين: اسقيك الماء الذي ساشرب منه..

حسن: (بخوف) مـــ.. مـــ.. ا ا.. الصبير؟

حسين: هذه الاوراق البدينة، ريانة، لا بد ان تكون ممتلئة بالماء

حسن: ماء.. ماء في الصبير.

حسين: اعذب ماء.. يمكن ان نعثر عليه.. في هذه الصحراء..

حسن: لا.. لا.. انها.. قد تكون مسمومة..

حسين: مسمومة؟

حسن: اغلب نباتات الصحارى.. مسمومة.. و..

حسين: هل لديك.. ماهو افضل من..

حسن: افضل؟ لدي انا؟ ماذا تقصد؟

حسين: بضع رشفات من ماء غير مسموم.

حسن: امجنون انت؟

حسين: لا. ولم اكون مجنونا؟

حسن: لانك.. لانك.. لاني.. من اين اتيك بالماء.. وانا اشد ظمأ منك

حسين: كذبت يا حسن.. لست اشد مني ظمأ.. ولا حتى ظمأن بمقدار ظمأي

حسن: بل.. انا..

حسين: لو كنت صادقا في زعمك هذا.. لما مكثت في مكانك مقعيا.. ككلب عجـوز اجرب.. بانتظار من يسقيه الماء.

حسن: وماذا افعل .. وانا..

حسين: تقوم انت الاخر، تتحرك تبحث.. تحاول على الاقل..

حسن: انا؟ انا ابحث؟. اتحرك؟ انا ؟ بقدمي المتورمتين المزروعتين بالدمـــــامل.. وظهري المنخور كالغربال.. والامي واوجاعي التـــي لا تطيقـــها .. حتـــى الصحراء.

حسين: لو كان العطش قد اشتد بك فعلا. كما تدعي.. لانتعلت كل الامـــك وقمــت تبحث عن الماء. فلا الظهر المخــــروم ولا القدمـــان المتورمتـــان ولا الام السعير نفسها.. بوسعها منع شخص مقبل على موت محقق مــــن البحــث عن اسباب الحياة. حياته هو على الاقل

حسن: ليس الثاكل كالمعزي. لو كنت تعاني بعض ما اعاني.. او كانت حالك مثــل حالي.. لما..

حسين: معاناتك كذب.. والامك اختلاق.. وعطشك مزيف. وانـــت بـــاطل.. كلــك باطل.. كل مافيك باطل.. في باطل

حسن: احذر يا حسين.. فانا..

حسين: انت الذي قدت نفسك بنفسك الى هذه الحال.. كم قلت لك لا تنزع الحــذاء. لا تلعب بدماملك.. ولكنك اصررت اصرار البغل.. كي تمضــــي قدمــا فــي تنفيذ.. ما خططت..

حسن: سامحك الله.. ماذا يمكنني ان اقول.. غير سامحك الله

حسين: لا سامحني الله.. ولا سامحني الشيطان.. اذا كانت.. امي. امي نفسها قــد خانتني وغدرت بي هذا الغدر المريع.. فلمـــاذا لا يخونني ويغـدر بـــي، صديق.. يمثل امامي حالة العطش ويصطنع الالام والاوجاع..

حسن: معذور قد اخلت الصحراء بعقلك ولم تعد تعي ماتقول

حسين: ابدا.. لم اكن واعيا اقوالي كما انا الان. ابدا لم تكن الحقائق واضحة امــلم عيني كما هي الان.. لقد انكشف كل شيء.. لقد اتضح كل شيء

حسن: اتضح كل شيء..؟ مــــ.. مــــ.. ماذا تقصد..؟

حسين: هل لك ان تفسر لي سبب دفعك اياي الى مجاهل الصحراء. للبحث لك عن ماء. وانت تعرف حق المعرفة.. ان الصحراء تحوي كل صنوف الموت ولا

تحوي قطرة ماء واحدة.

حسن: (يهم ان يتكلم)

حسين: (لا يدعه) ليس لذلك سوى تفسير واحد. تدفع بي الى موت مؤكد.. ليبقى لك وحدك الماء الذي اخفيته في مكان ما..

حسن: اين؟ اين يمكن ان اخفي الماء في هذه الصحراء المنبسطة، مثل باطن الكف المفتوحة..؟ ها؟ اين؟ اين؟ بين ملابسي؟ تعال فتشني.. وقد فتشتني حتى كدت تنزع عني جلدي..

حسين: في داخلك ابليس خبيث.. لا يدرك احد.. مدى مكره وانانيته

حسن: اسمع يا حسين.. اذا كنت تعتقد انك بهجومك الظالم علي وعلى هذا النحو الحيواني الذي لا يعرف التوقف.. تنفي عن نفسك الشكوك.. فانت واهم.. واهم..

حسين: الشكوك؟

حسن: ما دمت تعرف حق المعرفة ان ليس في الصحراء قطرة ماء واحدة مثلما رحت تبحث..

حسين: لانك انت الذي ارغمتني..

حسن: ولماذا تاخرت كل ذلك التاخير.. اين قضيت كل تلك المدة؟

حسين: في.. في البحث والدوران.. هنا وهناك

حسن: بل في شرب الماء الذي اخفيته في مكان ما.. رحت تنهل منه حتى ارتويت..

حسين: لو كنت قد ارتويت.. لما هجمت على الصبير المغطى بالشوك اقضمه كالبصير.. الجائع الظامىء.. الذي اعماه الظمأ.. وجننه الجوع ولا يدري ماذا يفعل..

.

حسن: تقضمه؟ تقضم الصبير؟ اتحداك. ذاك هو امامك. تفضل ان كنت صادقـــا.. ان كنت لا تمارس الابتزاز المفضوح الرخيص حسب.

حسين: بعدما قلت لي انه مسموم.. تدعوني الى اكل السموم..

حسن: اليس ذلك ما تتبارى فيه؟

حسين: اه.. حسن.. كفاك ياحسن. الان تحققت مـــن نوايـــاك الشـــريرة. بعدمـــا انقذتني العناية الالهية الرحيمة من الموت المؤكد الذي دفعتني اليه دفعـــا.. تخطط الان لقتلي مسموما..

حسن: انا؟

حسين: ولكن خاب فالك.. وطاش سهمك مرة اخرى ياحسن..ان كان لا بد ان اكل من الصبير فستاكل معي ان تسممت تتسمم معي. ان مت تمت معي. لـن تعيش بعدي ثانية واحدة

حسن: انه اختيارك انت.. فما شاني انا..

حسين: (مستمرا) واذا ابيت فما انت الا مخاتل نذل ومخـــادع ســـافل. واذ ذاك.. قسما بكل ما هو مقدس.. لأملأن نفسي بشرور الدنيا كلها.. وافترسك.. او تقاسمني الماء الذي تخفيه حتى اخر قطرة..

حسن: وضع في اعتبارك انت الاخر ..انك اذا تخاذلت وتراجعت. صدق عليك كـــل ماتوصمني به. هيا.. ياحسين. هيا.. هات ولنر.. اينا المخـــاتل والمخـــادع الاكثر نذالة وسفالة..

حسين: هكذا اذن. حسن.. الان.. الان (يندفع نحو الصبير.. يحاول كســـر قطعـــة منه..)

حسن: (الذي لم يكن يتوقع اندفاع حسين.. يستهول الامر كثيرا، لنفسه) ياالـــهي.. ايمكن ان يكون وحشيا الى هذا الحد؟ يرغمني على اكل الصبـــــير؟ لا.. لا.

مستحيل.. انه مجرد تحد. تحد اجوف كاذب حسب.

حسين: (لنفسه) الى م يقودني هـــذا الكلـب.. هـل يمكـن ان.. ان.. لا.. لا.. مستحيل.. سيتراجع.. حتما يتراجع..

حسن: سارفض. اذا اصر، لابد ان ارفض.. ارفض؟ وادعــه يشــاركني مــائي.. ويقاسمني اياه حتى اخر قطرة؟ لماذا اظهر نفسي امامه اكثر ضعفا منـــه.. ساتحداه انا الاخر.. ولن امسه اذا لم ياكل هو قبلي.

حسين: (مايزال يحاول. وكلما يمسك جزءا منه، يرتد ويصرخ مـــن الالـم) اخ.. اخ.. اما من سبيل اليك ايها الوحش المتقنفذ..

حسن: (لنفسه، مبتهجا) اذن فهو الاخر خائف وضعيف امام اختياره يتوجب علـى ان القنه درسا. لا ينساه..(له) خذ.. هاك.. الحذاء اضربه بالحذاء (يرمـي اليه حذاءه) ينبغي ان اكون اكثر منه شجاعة..

حسين: (لنفسه) الى جهنم، ايها الوغد، كنت امل ان يقول لي كف عن محــاولاتك الخرقاء.. مادمت غير قادر على مسكه.. ولكنه صخــر.. وقلبــه حجــر.. ليكن(يستمر في محاولاته)

حسن: سيفشل وتذوب كل شجاعته وتحديه.. كحفنة ملح فـــي المـــاء. وتنتـــهي اللعبة.. ويكون هو الخاسر..

حسين: كالحمار.. يقودني قدري الى مالا ادري.. كحمار اعمى(يمســـك الصبـــير يطرف ردائه. يضرب بالحذاء بقوة، تســـقط قطعـــة) اه. فـــات الاوان.. لا تتراجع.. لا تتراجع.. انا الذي تحديته بنزقي وتطرفي(يكرر الضربة، تسقط قطعة اخرى) لقد وضعته ، كما وضعت نفسي في الموقف الاصعب.. ولكـن لا حيلة لي.. لو تخاذلت تحققت كل شكوكه..

حسن: الكلب.. انه ماض في نواياه الاجرامية. دون توقف.

حسين: (يتناول القطعتين. بطرف ردائه. يلقي احداهما امامه)خذ.. خذ..كـــل.. ان كنت صادقا.

حسن: (يتغلب على تردده يتناول القطعة بطرف ردائــــه) هيــا.. هيــا لــنر اينـــا الصادق.. واينا الكاذب.. هيا.. هيا.. كل ماذا تنتظر..؟

حسين: انتظر ان تثبت صدقك انت.. وتاكل.

حسن: ولماذا لا تبدأ انت اولا.

حسين: ولماذا.. انا..

حسن: لانك انت الذي تحديت واقترحت هذه التجربة الوحشــــية ســاحة اختبــار وتحد.. ام.. ام.. تراك قد جبنت واخذت تتراجع.

حسين: لا يحبن ولا يتردد سوى المخاتل المخادع..

حسن: اذن هيا.. هيا.. لتبدأ اولا.

حسين: لا ياحسن لا. لن يكون بيننا اول ولا ثان.. سنبدا معا وفي ان واحـــد.. لا اتقدم انا. ولا تتاخر انت. وستبقى عيوني مشدودة الى شــــفتيك. لا تغفــل عنك.

حسن: لا تتاخر انت ولا اتقدم انا. موافق شرط ان تكون امينا

حسين: الاولى ان تنصح نفسك بالامانة.. هيا.. هيا.. ابــــدا.. واحـــد.. اثنـــان.. ثلاثة..

(كل واحد منهما يحدق في شفتي الاخر، ويقضم فعلا محاولا جعل قضمتـــــه اكبر ما يستطيع لينفي عن نفسه الشك بصورة اقوى ويؤكده في الاخر)

كلاهما: (في ان واحد، يصرخان بالم هائل) آخ.. آخ.. لقد فعلها بي الكلب..

(يجن جنونهما اذ يتحسسان الدماء على شفتيهما. يعدو كل منهما مدفوعا بغريزته نحو زمزميته. يصطدمان ببعضهما. يسقطان.. ينــــهضان. تشــتد

الرياح. وتمتلىء عيناهما بالرمال. لا يبصران طريقهما. يواصلان السير زحفا. يتوجه كل واحد منهما. دون ان يدري.. عكس الجهة التي اخفى فيها زمزميته)

حسن: اخ.. اخ.. لقد فعلها.. فعلها بي هذا النذل. ماكان ينبغي ان اسايره..

حسين: اه.. اه.. لقد اسرفت في تعذيب نفسي، بسببه. بسبب ذاك السافل المنحط.. اه.. اه..

حسن:(لا يستطيع فتح عينه. بنظر من خلال اصابعه)اظنني قد بلغت المكان.. ولكن الزمزمية.. اين الزمزمية.. كيف ساهتدي اليها.. والرمال الحارقة تغزو عيني..

حسين: (يضرب بيديه هنا وهناك) الحفر.. يجب ان ان اعثر على الحفر اولا.. ولكن كيف.. كيف السبيل اليها.. وانا لا.. استطيع فتح عيني..

حسن: (يضرب بيده هنا وهناك كالاعمى) التلول لا بد ان اجد التلول أولا ولكن اين هي هذه التلول اللعينة.. ماذا جرى لها.. ابتلعتها الصحراء..؟ هل جرفتها العاصفة.. ومحتها من الوجود(يستمر في البحث بقلق متزايد)

حسين: لو تهدأ هذه العاصفة المجنونة(يحاول فتح عينه. يخفق) مستحيل مستحيل.. لا سبيل الى الحفر... كيف ساعثر على زمزميتي.. اه ياالهي.. ماذا جرى لحفري.. هل ردمتها الرمال.. اخفتها من الوجود(يواصل البحث باضطراب متصاعد)

حسن: هذا هو المكان. بالتاكيد هذا هو المكان. وهذا هو الصبير الملعون (يتحسسه. يرتد) اخ.. اخ.. من هذه الابر. ثلاثة عشر شبرا عن كومة الابر هذه.. ثم تلولي..(يشرع بقياس المسافة بالشبر).

حسين: اما تتوقف هذه الزوبعة الشيطانية، بعض الوقت.. التقط انفاسي افتح

عيني.. ابصر موضع قدمي.. اعرف اين انا من ينبوع حياتي الذي دفنته (من بين اصابعه يرى الصبير) الصبير اه.. وافرحتي.. الصبير.. ثمان اقدام عن الصبير (يزحف على بطنه، نحو الصبير مغمض العينين.. يصطدم به. يرتد) اخ (ينهض يقاوم العاصفة.. يبدا بقياس المسافة.. بالاقدام)

حسن: تلولي؟ اين تلولي؟ ولا تل واحد.. اه..(من بين اصابعه ينظر) ماهذه الحفر؟ هل مر ابليس من هنا وخلف اثار اقدامه؟ لا.. لا.. لقد اخطات الموضع.. ليس هذا هو المكان.. لعلي تركته في الجانب الاخر من الصبير.. على يمين الصبير. ولكن انى لي ان اعرف في ليل العواصف والرمال.. اليمين عن اليسار (يزحف من امام الصبير نحو الجهة الاخرى) تلولي.. يا رب.. تلولي..

حسين: ثمان اقدام و.. الزمزمية.. و.. الحياة التي تفتح لي ذراعيها.. (يفتح عينيه من بين اصابعه) اين الحفر ؟ حفري..؟ ماذا حل بها؟ ولكن ما هذا.. كأني ابصر تلولا.. لا.. لا.. مستحيل كيف تستحيل الحفر الى تلول.. ولكنها تلول.. حقيقية (يتحسسها بيديه) لا.. لا.. ليس هذا بالموضع الذي اخفيت فيه الزمزمية.. لا بد انه على الجانب الاخر.. على اليسار.. من الصبير (يزحف نحوه)

حسن: (وقد بلغ الجانب الاخر من الصبير) اه.. ما اقبح طعم الدم في فمي (يبصق دما) يجب ان اعثر على تلولي والا قضي على العطش والدم.. لا بد انها هنا.. (ينظر من خلال اصابعه) اين هي يا الهي.. انها ارض مستوية.. الرمال الزاحفة ساوتها مثل ساحة العاب (يبحث يسار)

حسين: (يخرج من خلف الصبير) الدم.. هذا الدم المتخثر يخنقني.. لا بد ان

اغسل حلقي.. اغسل؟ هل انا واجد مـــاء اشــربه..؟ هــذا هــو الجــانب المقصود.. يسار الصبير.. ولكن اين الحفر (ينظر من خلال اصابعه) ايــن الحفر.. يا الهي.. اتكون العواصف الرملية الهوجاء.. قد ردمتها كلها.. لـم تترك.. حفرة واحدة منه يمكن ان استدل بها على البقية.. (يضــرب يديــه هنا وهناك)

حسن: ما هذا؟ ما هذا ايها القدر المشؤم.. لا في هذا الجانب ولا في ذاك الجانب؟ ماذا حل بها..؟ هــ.. هــ.. هل اتنقل انا حقا من جانب الى جـــانب.. ام.. ام اتراوح في الجانب نفسه.. اه.. لا.. لا..

حسين: لا.. لا.. جدوى.. تاهت.. ضاعت.. اندثرت.. حفري.. وســـتندثر معــها حياتي.. وتضيع هباء بكا تاكيد.. لا هنا. ولا هناك اين.. اين انت.. ايتـــها الحفر اللعينة.. اين؟ اه.. اية لعنة تلعب بعقلي.. اية لعنة..

حسن: والحفر..؟ كانت ثمة حفر في الجانب الاخر، حفر عديدة ترى مــاذا كــانت تلك الحفر.. اهي اثار خف بعير ضال..؟ أي بعير..؟ وهل وقع بصري على مخلوق.. عدا جلادي الذي يلازمني ملازمة ابليس لناسك قديس.. اذن مـــا هي.. كيف ظلت واضحة للعيان في صحراء دفنتها العواصف وهي تحــرك رمالهامثل امواج البحر..

حسين: و.. والتلول.. ماذا كانت تلك التلول الواضحة وضوح الجبال تحت ســماء صافية.. اتكون اشارات ما.. وضعها شخص ما.. للاهتداء الى شيء مــا.. (يتوقف) شخص ما.. ومن هنا.. عدانا؟

حسن: اه عليك اللعنة.. يا حسين.. يا ابن ام حسين الداعرة.. انها علاماته التـــي ترشده الى.. زمزميته.؟ زمزميته..؟ ولكن زمزميته قـــد ســرقت منـــه.. سرقها العجوزان؟ اذن ماذا هناك؟ لماذا حفر كـــل تلـــك الحفـــر؟ (يبحـــث

بجنون)

حسين: اذن فقد كانت التلول اشاراته الدالة على زمزميته. يـــا الـــهي أي عمـــى اصاب عيني. وعقلي وقلبي ايضا. فغفلت عنـــها ولـــم اهدمـــها.. كلـــها.. واستخرج الزمزمية. ولكني رايته بام عيني يرمي زمزميته في الـــوادي..؟ اذن لماذا؟ لماذا بنى كل تلك التلول؟ (يحفر هنا.. وهناك على غير هدى)

حسن: يا الهي.. يا الهي الرحيم، بعض رحمتك.. لا تدعني.. امت لا تدع الســموم تقض علي (يحفر).. لا.. فائدة.. لقد ضاعت. تلولي.

حسين: سأجن. بالتاكيد سأجن. كل ما كنت ادعيه وأمثله امامه قد تحقق وصــــار واقعا.. كابوسيا يمسك بخناقي.. السموم تملأ حلقي والدماء تغطي لســـاني والرمال تشقق شفتي! آه من هذه الرمال الطينية اللزجة.. لقد ســـدت كـــل مسامات جلدي المتيبس (يحفر)

حسن: الافضل ان ابحث عن الحفر.. ان ابحث في الحفر.. لقـــد كـــانت واضحـــة كمجموعة افواه مشقوقة.. تنادي وتقول.. ها انـــا ذا.. ولكننـــي غبـــي.. سددت عن ندائها اذني.. ورحت ابحث عن تلول لم تترك لـــــها العواصـــف اثرا.. (يزحف الى الجهة الاخرى)

حسين: لا.. لا جدوى من البحث عن حفر طمرتها الرمال.. اغتالت كل معالمـــها. التلول.. التلول.. بالتأكيد هو الذي بناها.. واخفى فيها زمزميتـــه لأعـــد.. اليها لأنقب فيها (يعود ادراجه من حيث جاء)

حسن: (في الجانب الاخر) الحفر؟.. اين الحفر.. لقد كـــانت هنـــا. تبحلـــق فـــي الواحد.. كعيون الميت المفتوحة (يبحث) يا الهي.. ماذا جرى لـــها، كيـــف اختفت بهذه السرعة (ينتابه اليأس) انها النهاية.. لقد حلت نهايتي..

حسين: (في الجانب المعاكس) التلول.. اين التلول؟ ماذا حل بها.. اه.. يا الـــهي لا

حفري.. ولا تلوله.. اذن فهو الموت.. الموت المحقق الاكيد.. قـد حـانت ساعتك يا حسين.. اه.. اه.

حسن: ما اظنه الا قد عثر على زمزميته وشرب.. حتى ارتوى.. و.. و اخفاهـا.. في مكان ما.

حسين: ايكون قد وجد زمزميته وفر بها.. يفر الى أيـن؟ تـالله لامسـكن بـه.. واقطعنه.. اربا.. اربا.

حسن: لا. لن ادعه يستأثر بالماء وحده.. قسما بالله لأذبحنه واشرب دمه.. بـدل الماء الذي سرقه مني.

حسين: لا.. لا.. ينبغي ان اتصرف معه بحكمة.. بمنتهى التعقـل والحكمـة. والا تركني اموت هنا عطشا إنه في غاية الخبث والقسوة. يتوجـب علـي ان اتوسل اليه واستعطفه.. قبلمـا اسـتحيل جثـة هـامدة. تفتتـها الريـاح والعواصف.. كما تفتت هذه الرمال الجافة اليابسة..

حسن: لا. لا. اليكما عني ايها الغضب والتهور. فانتما تكلفـانني لـو اطعتكمـا، حياتي. حياتي باتت بين يديه. ان شاء بعثني حيا مـن جديـد، وان شـاء قتلني.. عطشا.

حسين: ربي. ربي.. ألن قلبه على.. وضع فيه شيئا من الرحمة.. من اجلـي يـا ربي.. من اجلي..

حسن: يتحتم علي ان الانيه وحتى اتوسل اليه ان اقتضى الامر اجـل. اجـل. يـا حسن دع عنك كل كبريائك وغرورك وتوسل اليه.. مرغ انفـك بـالتراب.. المسألة مسألة حياة او موت موت؟ لا.. لا اريد ان امـوت.. لا ينبغـي ان اموت..

حسين: (بنبرة رقيقة) حسن.. حسن حبيبي.. اين انت.؟

حسن: حبيبه؟ انا حبيبه؟ اه. يا لخبثه الذي جعل صوته ينساب لينا ناعما كالافعى.. اذن فقد عثر على الماء. وقد تهيأ مسبقا لخداعي ثانية. آملا بلغته المائعة هذه ان يحملني على تصديق اكاذيبه الجديدة التي اختلقها.. ولكن هيهات.. هيهات..

حسين: حبيبي حسن.. اين انت؟ ماذا حل بك؟

حسن: حسين.. حسين عزيزي.. انا ابحث عنك.. اين انت يا عزيزي!

حسين: عزيزك.. عزيزك يا كلب.. تنافقني بهذا الرخص لكي تصرفني عن مطالبتك بمائي الذي سرقته.. ولكن لا.. لا.. ايها الخبيث المسكون بنفاق اهل الارض.. لن تخدعني ثانية

حسن: حسين.. حسين عزيزي.. لماذا سكت؟ لماذا لا تجيب؟ تكلم دعني اسمع صوتك.. دعني امتلىء بوجودك.

حسين: حسن حبيبي.. تعال، تعال.. اقترب مني.. الرمال لا تتركني افتح عيني.. اقترب مني احتضنك.. احتويك بقلبي..

حسن: انا هنا.. ياخي.. انا الاخر، قد ملأ الرمل عيني. تعال.. تعال.. لا تتركني وحدي..

(يسير كل منهما باتجاه الاخر. وقد سد عينه، لا يبصر طريقه الا بصعوبة شديدة، بسبب الرمال والعواصف.. يلتقيان)

حسين: اه.. حسن.. اه.. لك الحمد يارب. تعال الى احضان اخيك الصغير.. دعني اتحسسك.. دعني اشبع منك. (يعانقه بحرارة) اه.. اه..

حسن: اه.. ما ارحمك يارب.. واخيرا.. انه انت.. انت ايها العزيز. اكاد لا اصدق نفسي التي تعانقك.. اكاد اكذب ذراعي اللتي تحوطانك.. تعال.. تعال.. الى اخيك..

(يتعانقان. يتحسس كل منهما جسم صاحبه. بدقة متناهية، متصنعا الاحتفاء به. في الوقت الذي يفتش عن الزمزمية التي يعتقد انه قد اخفاها..)

حسين: اخي.. اخي حسن(يتلمس وجهه) شفتاك يابستان جافتان كقطعتي طين فخرتها الشمس..

حسن: (يتحسس شفتي حسين) وكذا شفتاك ايها الحبيب.. اه.. اه.. لقد تشققتا من الجفاف.. كانهما خفي بعير.. سار الاف الاميال. اه.. ماقسى ماتحملت وعانيت.. ما اشد ماتعذبت. سامحني.. سامحني.. اذ ظننت بك الظنون السود.

حسين: انت يا اخي اشد مني جفافا ويبسا.. وتطلب مني السماح اه.. اغفر لي ايها العزيز.. اذ اسأت اليك بالظن والفعل اه.. يا الهي.. بالظن والفعل. لا بد لي من الاعتراف.. لا بد ان اعترف امامك.. قبلما يطويني الموت.. المحدق بي..

حسن: انا من ينبغي ان يعترف.. انا من ينبغي ان يستغفرك.

حسين: انت.. انت الاخر.

حسن: لقد كذبت عليك ياحسين.. انا.. انا لم ارم الزمزمية في الوادي وانما القيت.. قطعة صخر.. اه.. اه..

حسين: كفعلي معك.. كما فعلت انا معك.

حسن: اه.. اه..

حسين: الزمزمية لم تسرق مني.. لقد دفنتها بين الرمال.. والان لا اهتدي اليها.. لقد حرمتك الماء.. كما حرمت نفسي.. اخ.. اخ..ماذا فعلت بنفسي.. ماذا فعلت بك؟

حسن: حقا.. ما ابشع مافعلت بك.. ما افظع مافعلت بنفسي اذ منعت عنك وعني

الماء.. واخفيت الزمزمية.. في مكان.. لا اعرف.. اين..

حسين: اه ياحسن.. اه.. أي وحشين.. نحن.. أي وحشين...

حسن: كأن امك تعيش في داخلي.. كأن ابي يعيش فيك اه.. ما نحن.. ياحسين.. مانحن..

حسين: حقيران.. حقيران..

حسن: بلغنا الذروة في الحقارة.. والغدر الخيانة.. الذروة..

حسين: بل الحضيض.. صرنا في الحضيض.. في القاع.. في اسفل السافلين..

حسن: اسمع ياحسين يا اخي. لا جدوى من تقطيع النفس والروح وذر الاملاح فوق الجروح.. علينا ان نفكر بطريقة ما للخروج من هذا الجحيم..

حسين: ولماذا نخرج؟ لكي نواصل حياتنا السابقة بنفس القذارة والانانية والجشع.؟

حسن: بل.. بل..

حسين: بل ماذا.. هل في مجمل حياتنا.. وكل ماضيا.. لايشرف احدا منا..؟ اراك لا تجيب.

حسن: انما..

حسين: كل مافيها يجللنا بالعار والندم.. لم نعرف حتى ان نحب كسائر البشر.. ونتزوج.. وننجب الاطفال.. خشية ان يقاسمونا ثروتنا.. لقد اغلقنا القلب دون رعشة حب.. دون ومضة ايمان.. باي شيء..كان حبنا الاوحد الذهب.. والهنا الوحيد الذهب ايضا.. مثلما سيكون قاتلنا.. ودافننا في هذا العراء

حسن: لن تبقىالحال كما كانت.. اذا..

حسين: الاولى بنا نحترق في اتون هذا الجحيم.. لعلنا.. نتطهر بعض التطهير..

او.. او.. لندفن انفسنا احياء مكفنين بلعنات البشرية كلها..

حسن: لا.. ياحسين. لا. فنحن اذ نعود.. لا نعود كما كنا

حسين: املائكة.. اطهارا.. سنكون؟

حسن: ليس بالضبط.. ولكن لابد ان نتغير.. ان هـذه التجربـة المريـرة التـي عجنتنا.. ينبغي ان نتعلم منها.. الشيء الكثير..

حسين: او.. نستطيع.. هل نقدر..

حسن: لم لا.. لا احسب الامر مستحيلا..

حسين: قد لا يكون مستحيلا.. ولكنه شاق.. شاق جدا.. فليس هينا على الانسـان ان يكون نظيفا.. وكل ماحوله يفيض بالقذارة.. ان يكـون عـادلا.. وكـل ماحوله ظلم.. ان يكون جميلا.. وكل ما حوله قبيح.. واول ماحوله ومـن حوله ابواه. اقرب الموجودات اليه.. الصق الاشياء به..

حسن: لنتعاهد اولا.. وقبل كل شيء.. على الصدق.. والوفاء.. لبعضنا البعـض.. ثم.. تاتي المسائل الاخرى تباعا.

حسين: انه حلم بعيد المنال..

حسن: بل في متناول اليد.. اذا فتحنا قلبينا للحب.. للناس. ولنبدا من الان.. ثـم نبحث عن الزمزميتين.. لعلنا نعثر على احداهما علـى الاقـل.. ويكـون بوسعنا تدبير حالنا.. اما ونحن في هذه الحالة بين الموت والحياة.. لا مـن الاموات ولا من الاحياء.. فلن يكون بوسعنا.. فعل شيء.. أي شيء..

حسين: لا من الاحياء ولا من الاموات. فعلا.. صدقت.. تلك هي حالنا.. اه.. انـه العقاب. العقاب العادل.. من السماء العادلة.

حسن: السماء عادلة حقا. ولكنها في الوقت نفسه رحيمة ايضا.. سترحمنا وتغفـو لنا.. اذا اقسمنا بصدق ان ننحر الوحش المزروع في داخلنا..

حسين: ياليت.. ياليت!

حسن: ان في السماء ربا.. كريما.. غفورا رحيما.. هيـــا.. هيـا.. لقـد خفـت العاصفة..

حسين: خـ.. خـــ.. خفت.. خفت العاصفة.. حقا..؟

حسن: قد يكون رسالة.. السماء الرحيمة.. الينا..

حسين: اه.. اه.. (ثم) اقسم بكل ماهو مقدس ونبيل وشريف (يرفـع يديـه نحـو السماء) نذر علي.. ان اتقاسم مياه زمزميتي اذ اعثر عليها.. حتى القطـرة الاخيرة.. مع صديقي واخي حسن. والله.. على ما اقول شهيد.

حسن: (يرفع يديه نحو السماء) ونذر علي.. يارب ان لا اشرب قطرة واحدة مـن مياه زمزميتي.. اذا اعثر عليها.. الا مع صديقي واخي حسـين.. وحتـى اخر قطرة.. والله على ما اقول شهيد..

كلاهما: (يضعان يديهما بين يدي الاخر. معا) والله على ما اقول شهيد. والله على ما اقول شهيد. والله على ما اقول شهيد. (يتوجه كل منهما الى جانب مـن جانبي الصبير. بصورة تلقائية بلا قصد ولا اختيار متعمد. ويبـدأ البحـث والحفر. بالرغم من التعب والعطش اللذين تشتد وطأتهما بمرور الوقت)

حسين: (يتوقف) اتراه الان مثلي يكد ويتعب.. يحفر ويبحث.. ام تراه قد استسـلم للراحة والكسل.. كعهدي به. بانتظار ان اسـتخرج المـاء مـن اعمـاق الارض.. واروح اسقيه هنيئا. مريئا (يتلصص عليه هنيهة. ثـم يكـف ، ويعود الى الحفر) المهم ان أفي انا.. بوعدي.. لقد.. نذرت.

حسن: (يزحف الى طرف الصبير، متلصصا يتوقف) لا. لا ينبغي ان اسـيء بـه الظن.. يتوجب علي ان اخلص النية واصفي الطوية.. لقد وعدت واشـهدت الله على وعدي (يعود الى العمل)

حسين: (وقد هده التعب) بالرغم من كل شيء يتوجب علي ان اظل حذرا يقظـــا.. ارقبه على الدوام.. ولا اغفل عنه لحظة واحدة

حسن: (يحاور نفسه) من يقول انه مخلص النية، وصافي الطوية ازاءي مثلما انا ازاءه؟ لا بد ان احتفظ ببعض قواي تسعفني في استرداد حقـــي منـــه. ان راودته اية فكرة من افكاره الانانية الجشـــعة التـــي تتناســـل فـــي رأســـه المريضة..

حسين: (يرد على افكاره هو) يهرب؟ يهرب مني؟ مستحيل. والله لانقــض عليـــه كالصقر الجارح.. افتته.. امزقه..

حسن: اقتنصه.. واسحقه. مثلما يسحق الطفل الشرير ذبابة لا تحبه. اصنع مـــن الامي اجنحة. ومن اوجاعي انيابا ومخالب. وافترسه.. قبلما يبلـــل شـــفته بقطرة ماء.

حسين: (يواصل الحفر، يصرخ فجأة) هي.. هي.. لقد وجدتها. وجدت حياتي التي كادت تضيع.. (ينتزع من بين الرمال زمزمية خضراء.. مـــا هـــذا.. انـــها خضراء.. وزمزميتي صفراء.. اها.. انها زمزميته. ما الفرق؟ (يخضـــها) انها ممتلئة (يشرب)

حسن: كأن اناملي لامست رطوبة ما (يحفر باندفاع) اه.. اه. زمزميتي (ينتزع من بين الرمال زمزمية صفراء).. بل.. بل هي زمزميته.. زمزميته الصفراء.. وماذا يعني؟. قد رزقني الله بها.. اختارها لي. واختارني لها.. لك الشكر يا رب (يشرب)

حسين:(يتامل الزمزمية بعدما ارتوى) لا.. لا.. ما تبقى فيها من المـــاء لا يكفـــي كلينا. (يتوقف) وهو؟ والعهد الذي قطعته على نفسي واشهدت الله عليـــه. (يفكر.. حائرا) لقد.. لقد.. اقسمت ان اقاسمه ماء زمزميتي.. وهذه ليســـت

زمزميتي انا اذن في حل من قسمي

حسن: لو كان هو الذي عثر عليها.. اكان يعطيني قطرة منـــها.؟ لا. لا.. ولـــو فطست امامه كالكلب الضاميء في يوم قانظ. لا سيما.. انـــها زمزميتـــه.. وليست زمزميتي.

حسين: لو رآها لاستولي عليها.. لاغتصبها مني ولما سقاني قطرة واحدة.. هـذا الوحش الذي يضمر كل ذلك العداء لابيه وينوي الغدر به والقضاء عليـــه.. هل يعطف علي؟ لا. والف الف لا. والله لن يتورع عن قتلي والاســـتحواذ على الماء كله.

حسن: كيف يمكن ان اثق بشخص قد صمم على قتل امه ابشع قتلة؟ هل اتوقـــع منه رافة بي وانا الغريب عنه. لا. لا. الافضل ان اتركه هنـــا .. وحـده.. يقضي عليه الظمأ. وتبتلعه الصحراء.

حسين: ماذا انتظر بعد؟ النقود الحقيقية في جيبي والله الغفور الرحيم. قد حبـــاني بماء يكفيني اسبوعا.. اذا تدبرت امري.. ولم اسرف فـــي كرمـــي (يتـــهيأ للمغادرة)

حسن: (ينتعل حذاءه) هيا.. هيا.. قبلما ينقض علي الذئب الخبيث من الخلف. كـل اسباب الحياة غدت عندي. الماء النقي.. النقود الصحيحة.. لا قـــوة فـــي الكون تسلب مني حياتي ما دام الله جل جلاله.. قد هيأ لي اسباب نجاتي.

حسين: علي ان اسرع الى احضان امي الحنون ابارك لها زواجها من ذلك الرجـل الطيب الذي ستؤول إليه بالضرورة ثروة ابنه بعدما يقتله العطش وتتولـــى امره الصحراء. وتخفي عظامه واثاره. واغدو انا ابنهما الوحيـــد.. وهمـــا عجوزان طاعنان في السن وعلى اعتاب الموت. ولا وارث لهما ســـواي. (يزحف عنه مبتعدا عن الصبير محاذرا ان ينتبه اليه صاحبه)

حسن: اول ما افعله سأهنيء ابي من زواجه من تلك السيدة الفاضلة ذات الثروة الطائلة واعود خاتما في اصبعهما لا سيما وانهما لم يعد لهما من ولد غيري.. وما اسرع ما ارث شرعا وقانونا كل الثروة الهائلة التي تضخمت الى ابعد حد.. جراء دمج الثروتين (يزحف مبتعدا. عكس اتجاه صاحبه)

[لفترة يواصل كل واحد منهما زحفه الثعباني بعكس وجهة صديقه واذ.. يطمئن بانه قد نجا من صاحبه. ينهض محتضنا الزمزمية يركض باقصى ما يستطيع. يبدوان كنقطتين سوداوين.. وسط الصحراء التي افترشتها اشعة الشمس الفضية يخرج كل منهما من احد جانبي المسرح...]

[خلال ذلك ويتزامن مدروس، يظهر الكورس واضعين هذه المرة على وجوههم اقنعة تمثل فئات متباينة من الناس]

الكورس بصوت جماعي:

هكذا تفبرك الاحلام.

هكذا.. هكذا.. والا فلا.. لا..

تغزل وتحاك الاحلام.

حذق ومهارة وإحكام.

تقود الانام.

ممرغة انوفهم بالرغام

الى ما يراد

الى حيث يرام

صوت منفرد خارج الكورس:

أي حذق؟

أي مهارة؟

أي إحكام؟

انه حلم مصنوع مكشوف مفضوح.

مثل كتاب مفتوح.

يقرأه الجاهل الجهول.

قبل العالم العليم.

[ثم بنبرة مختلفة]

لولا ان للذهب بريقا

يأسر القلوب

يعمي العيون

يعطل العقول.

الكورس بصوت جماعي:

عيون من؟

عقول من؟

هلا تساءلتم ايها العقلاء..

ايها المبصرون..

عيون من؟

عقول من؟